زهور فوق الركام

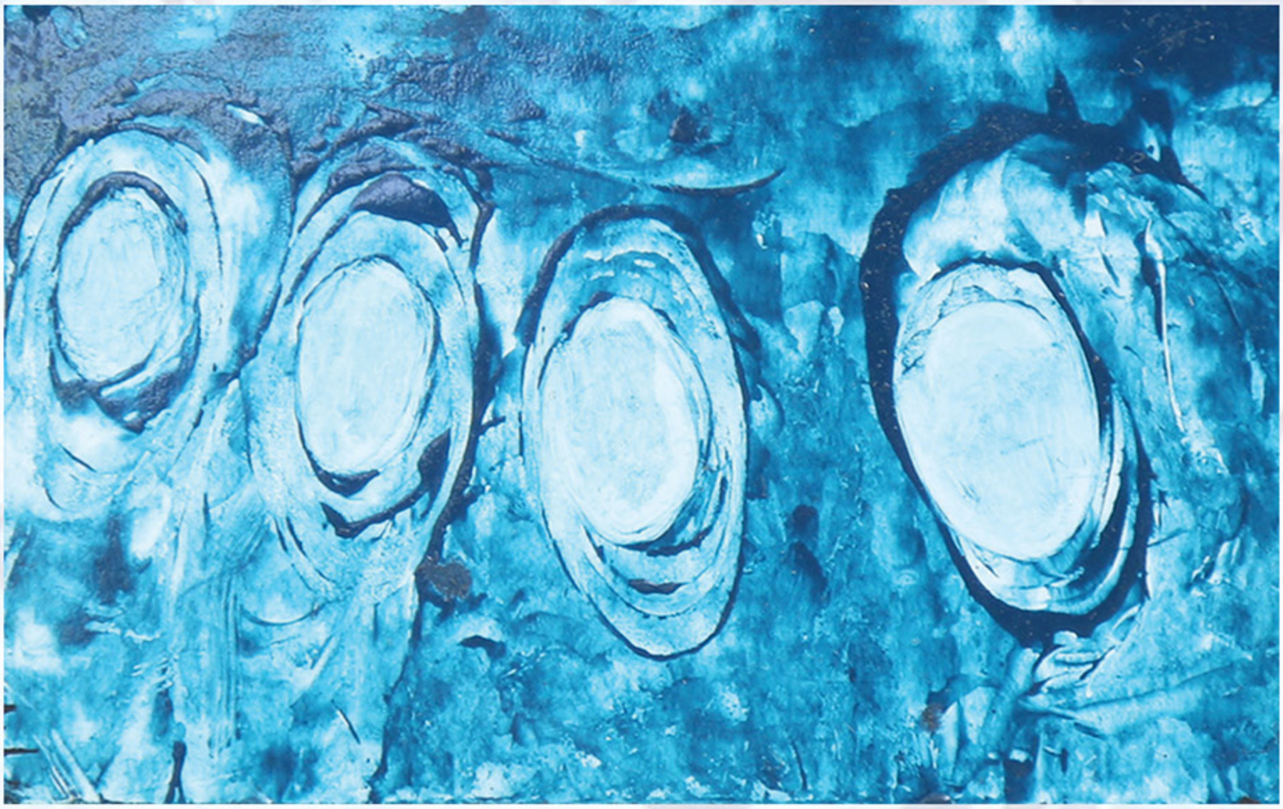

قصص خبرية
التجربة الصحفية الأولى لشابات سوريات

تحرير وإشراف
خالد خليل

SNP من إصدارات الشبكة السورية للإعلام المطبوع أيلول 2018

زهور
فوق الركام

زهور فوق الركام

قصص خبرية
التجربة الصحفية الأولى لشابات سوريات - تركيا 2018
مشروع تدريب للشبكة السورية للإعلام المطبوع SNP

تدريب وإشراف:
خالد خليل

قضايا المرأة:
وضحة العثمان

الغلاف للفنان
عبد المعين عبد المجيد

من إصدارات
الشبكة السورية للإعلام المطبوع (SNP)

SNP

تجمع لصحف ومجلات سورية مستقلة، تأسست بعد الثورة السورية، تعمل على تنسيق الجهود فيما بينها من خلال تبادل الخبرات الصحفية والمهنية، للارتقاء بالإعلام السوري المستقل.

تقديم

الإعلام حاجة بشرية، تشبع فضول الإنسان وحبّه لاستكشاف ومعرفة ما يجري حوله، وربما لا يستطيع أحد أن يؤكد بدقة متى ظهرت هذه المهنة (نقل ما يحدث للناس)، إلا أنها، لا شك، بدأت مع بدء الحالة المدنيّة للإنسان.

أسلافنا الذين عاشوا في الكهوف تركوا لنا نشرات أخبار، طويلة العمر، على الجدران عبر النقوش والرسوم، كما يذهب البعض إلى أن شعراء الجاهلية كانوا إعلاميي عصرهم، وكذلك الألواح وأوراق البردي وشواهد القبور كان أحد أهدافها نقل ما يحدث للأجيال القادمة.

لاحقاً تطور الإعلام بشكل متسارع إلى أن وصل إلى صيغته الحالية باعتباره خدمة يحتاجها الإنسان يومياً، وصناعة بحاجة إلى صنّاع مهرة، لذا يمكن اعتبار الصحفي ناقلاً تقنياً لما يحدث وفق آليات مهنية تتطور باستمرار.

إحدى التعاريف الفضفاضة لعمل الإعلامي أو الصحفي، هو ملء مساحة زمنية بمحتوى يهتم به المتلقي أو قد يثير اهتمامه. وإذا كانت الحياة من وجهة نظر فلسفية هي مجموعة من العقبات على الإنسان أن يواجهها، إلا أنها بالنسبة للصحفي هي أخبار وأحداث يجب نقلها للعالم.

في كل لحظة يولد خبر، ويتعيّن على الصحفي تغطيته ونقله للجمهور، والمزيد من الأخبار

يعني المزيد من الصحفيين، فالمهنة تتجدد في تصاعد متطور. لذلك تأتي مشاريع التدريب التي تطلقها الشبكة السورية للإعلام المطبوع (SNP) لتطوير الكوادر الإعلامية ولضخ دماء جديدة في هذا الحقل.

"صحافة تليق بسوريا" شعار ترفعه الشبكة السورية للإعلام المطبوع (SNP)، وهي تجمع لصحف ومجلات سورية مستقلة، تأسست بعد الثورة السورية، تعمل على تنسيق الجهود فيما بينها من خلال تبادل الخبرات الصحفية والمهنية، للارتقاء بالإعلام السوري المستقل.

آخر مشاريع التدريب للشبكة استهدف تدريب شابات سوريات يافعات على "أساسيات الكتابة الصحفية للمبتدئين"، الهدف منه تشجيع شابات لسن صحفيات، لخوض التجربة الإعلامية ولفتح المجال أمامهن لطرق باب الصحافة، وكانت نتائجه صدور هذا الكتيب، الذي يحتوي على إحدى عشرة قصة خبرية.

قبل البدء بتنفيذ هذا المشروع الذي كلفتني به إدارة الشبكة، انتابني الخوف وشيء من الارتياب من عدم قدرة الشابات على كتابة قصة بأسلوب يراعي المعايير الصحفية، وهل من الممكن أن يكتب أحد ما قصة صحفية بعد تدريب لم يتجاوز خمسة أيام فقط، ولكن النتائج كانت أعلى من المتوقع، على الأقل من وجهة نظري.

هدف الشبكة من هذا المشروع هو امتلاك المتدربات القدرة على التعبير المكتوب عن قضايا المرأة السورية وهمومها، لا سيما اللاجئة، من وجهة نظر فتيات خضن التجارب أو اطلعن على تفاصيل تجارب محيطهن، بعد تدريبهن على أساسيات الكتابة الصحفية، مما يجعل وصول القصص إلى الفئات المستهدفة أكثر سهولة وواقعية، إذ كتبتها فتيات أتراب وذوات تجربة واحدة.

بالفعل أنجزت كل متدربة قصة خبرية، على الرغم من أن القصة الخبرية (News Story) تحتاج إلى صحفي محترف يتمتع بمهارات إبداعية، ويعرف كيف يلتقط الزاوية المناسبة في القصة التي يقدمها، ولكن أحياناً تكون القصة أكثر تأثيراً إذا كتبها صاحبها، سواء كان ضحية أم بطلاً، وتقلل من الفجوات التي قد لا يتداركها الصحفي باعتباره ناقلاً تقنياً لما يحدث.

وتنوعت المواضيع التي اخترنهن المتدربات لكتابتها، ما بين قصص نجاح لنساء؛ سواء كن

ضحايا المجتمع والحرب؛ أو بطلات حولتهن التجارب في ظل الظروف الراهنة إلى رائدات في محيطهن، فضلا عن قضايا التحرش الجنسي والاعتقال والاغتصاب في سجون نظام الأسد وهموم المرأة السورية اللاجئة، وغيرها من المواضيع الحساسة التي لم تجد طريقها إلى الصحافة، بهذه العفوية والتلقائية.

خالد خليل

صحفي سوري

الفهرس

- «أمل الصالح».. معتقلة أمضت حياتها كفاحاً 11
- «عبير الأسمر».. امرأة حديدية من هذا الزمان 17
- التقاليد استعبدتني 23
- «ثناء محمد».. ضحية لزواج مبكر 29
- «أطفال الحرب».. ضحايا زواج السوريات من مقاتلين أجانب 35
- ميسون.. فريسةٌ لرغبات شقيقها 41
- «شغف خليل».. فتاة أنضجتها الحرب 45
- «عليا إسماعيل».. ضحية مزدوجة على يد سفاح ومجتمع 49
- «نور مدور».. امرأة وقفت بوجه الحرب 55
- «حنان الأحمد».. طفلة حرمت من أطفالها 59
- عندما تموت الأحلام.. ما بين الصمت وحرية التعبير 63

إحدى عشرة قصة خبرية
لنساء من سوريا في زمن الحرب

«أمل الصالح»..
معتقلة أمضت حياتها كفاحاً

آيات الصالح

طالبة سنة أولى طب بشري، مقيمة في ولاية أنطاكيا التركية.

«لطالما كنت أمتلك قضية، ولكن لا أمتلك أساليب الكتابة الصحفية لإيصالها للناس.. ورشة تدريب (SNP) كانت خطوتي الأولى نحو عالم الصحافة».

في ذلك المكان الذي تغيب فيه أدنى ذرات حقوق الإنسان، المكان الذي يُفرّغ فيه مهووسو تعذيب البشر ساديتهم بعيداً عن الإعلام، هناك في سجون نظام الأسد تقبع الكثير من حرائر سوريا، خلف القضبان حيث يتفنن الجلادون بممارسة وحشيتهم المفرطة.

لكل معتقلة حياة وأسرة وحكايات، سرقت الزنازين زهرة شبابهن وما زلن يدفعن ثمن موقفهن دماً وآهات، ولا سامع لصرخاتهن الحبيسة كما هن.

أمل الصالح (39 عاما)، هي ليست مجرد معتقلة، وإن كان الاعتقال بحد ذاته كافياً لكي نقف عند قصة البطلة التي صارعت الحياة مبكراً، نحاول في هذه المساحة الإضاءة على حياة أمل، ترويها شقيقتها بتفاصيل دقيقة، ما يعكس شدة تعلّقها بأمل، ولا تزال تنتظر الأمل منذ ست سنوات، وتتابع ملف المعتقلين باهتمام شديد، لعل أحداً يحمل لها البشرى كي تزهر الدنيا بعودة أمل.

أمٌ لم تلد

تنظرُ أمل، عندما كانت في العشرين من عمرها، إلى أخواتها الستّة اللواتي يصغرنها بأعوام ثم تعاود النظر إلى والدتها المستلقية على فراش الموت، هدوء يعمُّ المنزل يقتحمهُ صوت شهقات والدتها التي فارقت الحياة وهي ترمقُ صغارها بنظرات الوداع الأخيرة.

تربية أخواتها الأيتام مسؤولية حملتها أمل على عاتقها وزاد الحمل بعد أن اعتاد والدها أن يكون ظالماً بعد زواجه الثاني فور وفاة الأم بثلاثة أشهر، تقول أمل: لم أستطع أن ألتزم الصمت ورؤية أخواتي يُعنّفن أمام ناظري بعد أن تركتهن أمّي أمانةً في عنقي، ولن أنسى وصيتها لي حين قالت "ما حرمتون من شيء بالدنيا ولا تخليهن ينحرموا من بعدي " رحلتْ والدتي وقد ترتّب عليّ أن أكون أمّاً دون أن ألد".

تركتْ أمل منزلها في إدلب مصطحبةً معها أخواتها إلى دمشق عام 1998، انطلقتْ في رحلةِ حياة شاقّة مضنية بدأتها في خيمةٍ مع أطفالٍ صغار لا معيل لهم، عملتْ في الحياكة التي تعود عليها بشيء من المال تؤمّن من خلاله ما تسدُّ به رمق أخواتها.

تمضي ساعات الليل على آلةِ الحياكة تفكّر في عملٍ آخر تستطيع من خلالهِ تأمين حياة مريحة أكثر لشقيقاتها، تخرج صباحاً تجوب في شوارع دمشق باحثة عن عمل، إلى أن وجدت عملاً في إحدى صالات التجميل، حالفها الحظ هذه المرة إذ أنها تهوى هذه المهنة.

استطاعت أمل بعد سنوات من الشقاء أن تؤسس حياةً كريمة، تقول أمل "رغم أنّني أمضي طوال يومي في العمل وأعود في المساء منهكة إلّا أنّني لمْ أنجُ من نظرة المجتمع الفاسدة والأقاويل المسيئة لي، كثيراً ما سمعتُ أهل الحيّ يتهامسون " ليش أمل بتظل لآخر الليل برّا بيتها وما بتختلط مع حدا، معقول تكون عاملة شي فاحشة وهربانة من اهلها مع بناتها".

كبرت أمل وكبرت الصغيرات وما زالت أمل تُجسّد جسراً عبرن من خلاله لحياة أخرى.

فقدان آخر

مع اندلاع الثورة السورية في ربيع عام 2011، بدأت معها معاناة من نوع آخر ليست أقل قسوة مما مضى.

تقول أمل: "كنتُ جالسة أتابع أخبار التلفاز الساعة الثالثة فجراً، نظرتُ من النافذة فرأيتُ

عدّة طائرات تحوم في سماء دمشق للمرّة الأولى ينتابني شعور الخوف، لم يكن الخوف من الموت كان خوفاً مجهول السبب وكأنّ شيئاً ما سيحدث".

ساعة واحدة وجاءها الخبر الصاعق:

- ألو السلام عليكم كيفك أمل..

- هلا مين معي؟

- أنا أبو خالد صديق أيمن أخوكِ.. صمتَت لبرهة.

- إي احكي صاير شيء

- أبو خالد : أيمن استشهد.

قُطعَ الاتصال ومضت بضع دقائق لم تستوعب أمل ما سمعت، حاولت النهوض لكنها لم تعد قادرةً على الحراك، بدأت الزحف على الأرض ودموعها تخنقها وبعد محاولات خرجت تبحث عن أخيها الشهيد داخل أكياس جمعت فيها أشلاء الشهداء ووضعت على باب أحد مساجد دمشق في أحد الأكياس وجدت نصف وجه أيمن وفي الكيس الآخر نصف شاربه الأشقر، جفّ دمعها في المقل واكتفت حنجرتها بالصمت ومشت بمراسم دفنه ثم أخذت بأطفاله وأمهم الى منزلها ليصبح الحمل أثقل وأثقل.

استشهد أيمن (24 عام)، في 22 حزيران/يونيو 2012، إثر قصف من إحدى طائرات النظام السوريّ على منطقة "ببيلا" في ريف دمشق الجنوبي.

وتؤكّد أمل "شقيقي لم يكن مطلوباً لقوات النظام ولم يكن له نشاطات ثوريّة، كان شابّاً في أوّل عمره يمضي يومه في عمله كسائق سيّارة أُجرة، ذهب أيمن وأخذ معه ضحكات ما تبقى من عمري وترك لي أطفاله مع أمهم وأخواتي البنات".

«انطلقتْ في رحلةِ حياة شاقّة مضنية بدأتها في خيمةٍ مع أطفالٍ صغار لا معيل لهم، عملتْ في الحياكة التي تعود عليها بشيء من المال تؤمّن من خلاله ما تسدُّ به رمق أخواتها»

"ما بدي تحترق قلوب أمهات أكتر وهنن عم يجمعوا أشلاء ولادهن ماعاد بدنا دم بدي شوف وطني حر "، هذا ما قالته أمل بعد استشهاد أيمن فقد تحوّلت من أمًّ تناضل من أجل شقيقاتها الى ناشطةٍ سياسيّة تناضل من أجل حريّة سوريا، عملتْ على تنظيم المظاهرات التي تهتف ضد الظلم والاستبداد، تنقل الجرحى وتمدّهم في الدواء والغذاء.

"كنت أتجاوز حواجز النظام وسيّارتي مليئة بالأدوية وأربط حول خاصرتي مبالغ كبيرة من المال، أصبح الثوار يلقبونني بأم محمد خوفاً عليّ من استخدام اسمي الحقيقي"، هكذا كانت تروي أمل تفاصيل نشاطها الثوري، بحسب ما نقلته شقيقتها.

في الـ 23 من تشرين الأول/أكتوبر2012، في الساعة الثانية ظهراً، خرجت أمل وأخبرتنا بأنّها لن تتأخّر، حل المساء ولم تعد، شعرنا بالقلق الشديد لأنّها لم تكن تجيب على مكالماتنا الهاتفية.

وتضيف شقيقة أمل: استمريت بمحاولات الاتصال بها من دون جدوى وفي تمام الساعة العاشرة ليلاً فُتِحَ الخط وأجابت أمل لتقول لي "صار عندي شغلة ضرورية بحمص ورح ضل 3 ايام ، ديري بالك ع اخواتك ولا تخافوا " كانت تلك المرة الأخيرة التي نسمع بها صوتها ، لم يكن في صوتها خوف أو قلق ولكن كان متعباً مع نبرةٍ غريبة".

بعد مرور يومين علمت الأخوات أنه ألقي القبض على أمل عند أحد حواجز النظام وتمّ نقلها الى فرع المخابرات الجويّة في المزّة، بعد أن أبلغ عنها أحد "العواينة"، كان من مدعي الوطنية.

انقطعتُ أخبار أمل إلى أن حوِّلت إلى لفرع عدرا في سبتمبر 2013 وظلّت عائلتها لا تعرف شيئاً عن مكان وجودها إلى ذلك الحين.

تصف شقيقتها زيارتها الأولى لأمل في عدرا قائلة : ذهبتُ لزيارة أمل بعد أن أخذت موعداً مسبقاً للزيارة، دخلت مكاناً أشبه بالجحيم لم أستطع عدّ الأبواب المقفلة المتتالية التي أدخلوني منها لم يسمحوا لي أن أعانقها أو أجلس معها، انتظرتُ خلف شبك الحديد أترقّب رؤيتها بفارغ الصبر ، أتت أمل تطرق الأرض بخطوات بطيئة مثقلة بالسلاسل، حينما اقتربتْ ورأتني صرختْ "أوووف.. يا الله" واجهشت بالبكاء.

لم يكن بكاء من ندم بل كان لصعوبة الموقف حينها فكيف لا تستطيع معانقة طفلتها التي ربّتها، كيف لشبكٍ حقيرٍ أن يمنعها من ملامسة أناملها المرتجفة.

وقد أخبرت شقيقة أمل منظمة العفو الدوليّة أثناء زيارتها الأولى، أنّ أمل تعاني من أوضاع

نفسية سيئة وأعراض ما بعد الصدمة جرّاء احتجازها في السجن الفردي طوال أشهر وجودها في سجن المخابرات الجويّة ولكن دون جدوى.

وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، في تقريرها الموسمي، أن ما لا يقل عن 8623 امرأة لايزلن على قيد الاعتقال التعسفي أو الاختفاء القسري في سوريا، غالبيتهن (90 بالمئة منهن) على يد نظام الأسد.

بينما تشير تقارير إعلامية إلى أن الأرقام أعلى بكثير، تصل إلى عشرات آلاف المعتقلات في سجون الأسد.

رُحّلتْ أمل في شهر شباط /2014 من سجن عدرا إلى مركز احتجاز آخر ولم يتم إحاطة عائلتها بمكان وجودها أبداً، حسب ما قالت شقيقتها لمنظمة العفو الدوليّة: "ما زلتُ أحاول الحصول على تصريح بزيارة سجن صيدنايا العسكري كونه المكان الوحيد الذي لم أقم بزيارته، ولا أعلم سبب إصرار النظام على عدم إخبارنا بمكان اعتقالها، فهذا أحد أشكال التعذيب للسجينة وعائلتها ".

تكمل شقيقتها: تواصلتُ مع المعتقلات اللواتي أفرج عنهن من سجن عدرا لعلهن يعلمن المكان الذي نقلت إليه أختي، وحسب ما أخبرنني أن أمل نقلت إلى سجن صيدنايا العسكري، الى الآن لم نتيقّن من صحة كلامهنّ لكن مازال بداخلنا ثقة وأملٌ كبير أنها ستعود يوماً وستُكسر تلك القيود.

أخبرت إحدى الناجيات من السجن، المفرج عنهن، العائلة بأن أمل ليست فقط لعائلتها إنّها أملٌ للجميع، لطالما اهتمتْ بالمعتقلات في المهجع وكانت لنا كالأم الحنون، امرأة جريئة وفي نظراتها صمود العالم بأسره، لم تخنها جرأتها يوماً حتى عند مثولها أمام الضابط المحقق، ويدعى العقيد جميل حسن، بصقت في وجهه حينما طلب أن تخلع حجابها قائلة له " طلعنا للحريّة ولسا بدي حرية".

ولا تزال المعتقلة أمل الصالح مُغيّبة تماماً منذ عام 2014، أمضت حياتها تناضل لتربية أيتام، حاربها المجتمع وبقيت صامدة، امرأة حرة وأم عطوف لأخوتها، وثائرة شجاعة ضد الظلم، كافأها نظام الأسد بتجهيل مصيرها خلف قضبان الجحيم.

«عبير الأسمر»..
امرأة حديدية من هذا الزمان

راما الحجي

طالبة في المرحلة الثانوية، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«لكي ننقل رسائل ومعاناة من حولنا يجب علينا أن نكون تحت جلودهم لنشعر بهم، ولكي نعرف كيف نكتب قصصهم كان لابد من تعلم مهارات الكتابة الصحفية».

"إن الحروب تحمل من البشاعة والفظاعة ما لا يوصف، تختارنا ولا نختارها ولا حتى النصر يعزي فاقداً عمن فَقد".. تشكو عبير الأوضاع التي آلت إليها حياتها وعائلتها بسبب الحرب، وتتساءل في نجواها: "أين بيتنا الآن، أنت هناك، وأنا هنا، وماذا تعني كلمة (بيت) إذا لم تكن فيه العائلة كاملة معاً، نحن لا نموت حين تفارق الروح الجسد، بل حين نفارق الأشخاص والأماكن التي نحبها".

عبير الأسمر (اسم مستعار)، امرأة ثلاثينية، من محافظة حمص، تعرضت للاعتقال هي وعدد من أفراد أسرتها في صيف 2015، من قبل تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، في محافظة الرقة التي نزحت إليها العائلة هرباً من قصف طائرات النظام الهمجي على حي الوعر الحمصي.

لم تتوقف مأساة عبير عند الاعتقال فقط، كانت المصائب تتوالى على حياتها، ونحاول في هذه القصة تسليط الضوء على

جانب مما تعرضت له المرأة خلال الحرب، وعبير نموذج للمرأة الحديدية شهدت القصف والاختباء في الملاجئ، وقاست مرارة النزوح والتشرد، وألم الفقد والاعتقال، واللجوء، لكنها لم تفقد الأمل.

خالد زوج عبير، كان يعمل في تجارة السيارات في حمص قبل النزوح إلى الرقة، التي وجد فيها تجارة "الفيول" (المحروقات المكررة بطريقة بدائية) عملاً مناسباً له لإعالة الأسرة، إلا أن المدينة كانت قد وقعت حديثاً تحت سيطرة تنظيم "داعش"، الذي اعتقل خالد بتهمة تزويد "الجيش الحر" بالمحروقات.

في مطلع عام 2014، استكمل تنظيم "الدولة الإسلامية" سيطرته على كامل مدينة الرقة (شمالاً)، التي تحولت لمعقله الرئيس في سوريا، وباتت عاصمة لـ "الخلافة" التي أعلنها التنظيم في ربيع ذلك العام، وفرض قوانين وصفت بأنها من "عصر الجاهلية"، حيث طبق "حدود الشريعة الإسلامية" وفقاً لتفسيراته المتشددة، كالرجم وقطع العنق والجلد، وفرض قيوداً على الحياة التي صبغها بالسواد، وكانت النساء من أكثر المتضررات في حكم داعش.

رحلة البحث عن الزوج

عبير كانت تظن أن مغادرتها لمدينتها ستكون أقسى لحظات حياتها، لم تكن تعلم ما الذي ينتظرها، وتروي ما حدث: أرسل التنظيم تهديداً لزوجي بحجة أنه يؤمن المحروقات للجيش الحر الذي يعدّ "كافراً ومرتداً" من وجهة نظر التنظيم، وبعد التهديد بأسبوع اختفى خالد تاركاً خلفه حملاً ثقيلاً، أولادي الثلاثة ووالديه الطاعنين في السن.

تتابع عبير رواية معاناتها ودموعها تنهمر على وجنتيها: بدأت حماتي (والدة زوجها) في البحث عن خالد، وصارت تسأل الجيران والمقربين كيف لها أن تصل إلى مقر داعش، إلى أن التقت بشخص أرشدها للمكان، فقررت أن تذهب من دون أن تخبر أحد سواي.

لم تستطع عبير إخبار والد زوجها بأن حماتها خرجت للبحث عن خالد، بناء على طلب الأم التي خرجت ولم تعد هي أيضاً، ولكن مع مرور الوقت "بدأت أشعر بالخوف وأقلق فاضطررت إلى إخباره بكل شيء".

"بدأت ألوم نفسي كثيراً، فوالد زوجي مصاب ولديه أمراض عديدة، بسبب تقدمه بالعمر"، تضيف عبير التي لم تتحمل هذا الوضع، وقررت في صباح اليوم التالي أن تسأل عن المقر الذي احتجز فيه زوجها وحماتها حتى وصلت إلى الرجل الذي أرشد أم خالد سابقاً، "كنت أحمل في يدي طفلي الرضيع عمر (ثلاثة شهور)، وشجعني المرشد بقوله أنهم سيتعاطفون معي عندما يرون الرضيع".

طفلي الرضيع لم يسلم من الاعتقال

وصلت عبير إلى مقر التنظيم، ولم يشفع لها طفلها الصغير ولا كثرة البكاء والتوسل، ولم تكن تعلم بأنها هي الأخرى سيعتقلها التنظيم.

"طلبوا مني انتظار قدوم أحد القياديين، كانوا ينادونه بـ "الأمير"، ولحظة وصوله كان ضخماً ذا لحيةٍ طويلة وشكله مخيف، أمرهم بأخذي إلى القبو".

حدث ذلك في السابع من نيسان/أبريل 2015، حيث اقتادت عناصر من الشرطة النسائية لتنظيم "داعش"، المعروفة باسم "الحسبة"، عبيراً إلى سجن فيه الكثير من النساء يتهمهن التنظيم بأنهن "مرتدات".

"كنت أبكي وأتوسل إليهم كل ليلة أن يطلقوا سراحي، ولكنهم قهروني عندما جردوني من طفلي، أخذوه مني، كنت أسمع صراخه يومياً"، تتذكر عبير تلك اللحظات وتبكي بحرقة، كنت عاجزة عن فعل أي شيء كنت أتوسل الأخوات (نساء الحسبة)، كنت أقول لهن "أنتن أمهات أيضاً كيف لكنَّ أن تحرمنَّ أماً من طفلها".

وبعد خمسة وأربعين يوم أعادوا إليها طفلها، وبقيت في المعتقل تفكر بمصيرها ومصير طفليها محمد وشهد، اللذين لم يتجاوز عمرهما خمسة سنوات، كيف باتا من غير أب ولا أم.

أمهات في المعتقل

لم تكن عبير المعتقلة الوحيدة، وربما لم تكن معاناتها أشد من معاناة زميلاتها في السجن. تذكر عبير اسم "فاطمة م"، امرأة من الرقة في مقتبل العمر، ذنبها أنها كانت تعيل أطفالها من خلال عملها في تحضير الطعام للجيش الحر، لأن زوجها أصيب بشلل إثر قصف جوي استهدف منزلها قبل عامين.

تروي عبير قصة فاطمة التي قاسمتها لحظات الألم في المعتقل، " كانت هادئة والحزن يطفو على وجنتيها اعتقلت بتهمة أنها تخالف الشرع وتختلط بالرجال ويجب تأديبها على القيم".

فاطمة كانت تقول: لباسي كان محتشماً وما كان يدور أي نقاش بيني وبين عناصر الجيش الحر إلا فيما يخص الطعام. كانت دموع فاطمة وبكاؤها الذي يختنق في حنجرتها يختصر بشاعة العالم وظلمه، فهي أمٌ تركت أطفالها عند زوجها الذي بحاجة لمن يرعاه.

"بدور" التي ماتت كمداً

ركنت عبير وفاطمة أحزانهن جانباً عندما بدأت زميلتهن في السجن "بدور . ج" بالصراخ التي "اجاها الطلق"، أي على وشك أن تلد، إلى أن تم نقلها إلى المشفى الخاص بالتنظيم، كانت تهمة بدور أن زوجها من عناصر الجيش الحر، اعتقلت كوسيلة للضغط عليه.

بعد أن وضعت بدور مولودها عادت إلى المعتقل من دونه، وهي تبكي وتردد بأن طفلها لم يمت وأنها سمعت صوت بكائه، لم تصدق ما قيل لها بأن طفلها ولد ميتاً.

ساءت حالة بدور الجسدية والعقلية، وراحت تنطفئ رويداً رويداً، كانت تبكي كل ليلة وتطلب ان يحضروا لها طفلها، واستمرت على هذا الحال لمدة شهر إلى أن فارقت الحياة، وكانت آخر كلماتها "إن الحب بشكل ما يجعلنا أمهات"، بحسب ما نقلته عنها عبير التي شاهدت وعاشت تلك اللحظات.

تضيف عبير: مع رحيل بدور كمدا وقهراً شعرنا بالانتهاء، كنا نعيش في جحيم، أي معتقلة تعترض على أي شيء كانت تعاقب بالجلد، كنا نوصف بـ "الكافرات ويجب تطهير أجسادنا بما فيها من الكفر".

فرصة للنجاة

بعد مرور أربعة شهور من الاعتقال وفقدان الأمل بالخلاص، منحت الأقدار لعبير ورفيقاتها فرصة للفرار من السجن، فقد أصابت صواريخ أطلقتها طائرات التحالف الدولي، الذي تقوده واشنطن في حربها ضد التنظيم، جزء من مبنى السجن.

تقول عبير: "استطعنا الهروب أثناء انشغال عناصر التنظيم، في تلك اللحظات، كنا خمسة أشخاص امرأتين وثلاثة رجال، وبعد وصولنا إلى حي مجاور كانت معظم أبنيته مهدمة،

عاهدنا الرجال بأن يكونوا أخوة لنا وأن لا يتخلوا عنا حتى نصل إلى مكان آمن.

تضيف عبير: "اختبأنا في أحد بيوت أهل الرقة بانتظار فرصة للهروب، وتركت طفلي عندهم وذهبت لكي أسأل عن ما حل بطفليَّ (محمد وشهد)، لكني لم أجد أحداً في المنزل كانوا قد رحلوا، وأخبرني أحد الجيران أن أخا زوجي جاء من لبنان وأخذهم معه بعدما ترك قصاصة ورقية مكتوب عليها "نحنا بتركيا وهاد الرقم 009050..".

مرارة اللجوء

لم تتأخر عبير باتخاذ قرارها بخوض تجربة التهريب إلى تركيا، وتروي كيف هربت من المناطق التي يسيطر عليها التنظيم: "صعدنا إلى سيارة تنقل الأغنام إلى جرابلس وارتدينا ملابس سوداء بالكامل وغطينا وجوهنا، نساء ورجال، وتخطينا الحاجز تلو الآخر إلى أن استطعنا النجاة والخروج من الرقة".

كانت رحلة شاقة قضتها عبير وطفلها الرضيع للوصول إلى تركيا: "بعد ثلاثة أيام من دون أكل ونوم، كنت أنا والرضيع ننتظر تحت الشجر أي أمل بسيط يساعدنا على الخلاص من الجحيم". وبعد دخول الأراضي التركية تفرق الرفاق، كل راح يبحث عن عائلته.

علمت عبير أن زوجها خالد قد مات تحت أنقاض المعتقل، وأن حماتها انقطعت أخبارها، توالت الصدمات والأخبار السيئة التي كانت تفوق قدرتها على الاحتمال.

لم تنته مأساة عبير، كانت مصاعب الحياة في انتظارها بتركيا، فالبيت الذي تقيم فيه مع أخ زوجها (مصطفى) وعائلته، غير صالح للسكن كان "على العظم" من دون أبواب أو نوافذ، ولا معيل يطعم الأطفال الصغار اليتامى، فالعم عاجز ومريض ولديه أطفال أيضاً.

"خلقنا لنكسر حواجز اليأس"

بعد رحلة مضنية في البحث عن عمل، وجدت عبير فرصة في صالون للتجميل (كوافيرة) بأجر زهيد، وتقول عبير "الرمد أحسن من العمى"، إلى أن التقت بإحدى صديقات صاحبة الصالون، في صيف 2016، كانت ناشطة اجتماعية وصحفية سورية ساعدتها في الحصول على كفالة أطفالها الأيتام من إحدى الجمعيات الخيرية.

ومنذ ذلك الحين بدأت أحوال عبير تتحسن واستطاعت استئجار منزل مستقل يأويها

وأطفالها، رافضة الاستسلام.

استطاعت عبير تعلم اللغة التركية، الأمر الذي منحها المزيد من فرص العمل، وتختتم قصتها بالقول: "كسرت غصني وقررت الطيران.. خلقنا لنكسر حواجز اليأس ونبدأ من جديد حيث ترمينا الأقدار".

"من جعلني أحارب الحياة بكل قوتي وأصنع التغيير هم أطفالي لن أجعلهم يعيشوا اليتم مرتين، فالحرمان والفقر يتمٌ من نوع آخر.. لا يعرفه إلا من تجرع مرارته".

التقاليد استعبدتني

سهام عماد أفندي

طالبة سنة ثالثة علاج فيزيائي، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«طالما كنت أحلم دائماً بدخول عالم الصحافة ولكن لم تسمح لي الظروف إلى أن جاءت ورشة التدريب الصحفي من قبل (SNP) فكانت أولى خطواتي نحو عالم السلطة الرابعة».

"نظرتي دائما سوداوية وحاقدة وكارهة لكل ذكر تراه عيني، أصبح لدي عقدة من كل شاب أو رجل أراه في العمل أو الشارع، هذه "الفوبيا" سببت لي مشكلة في التأقلم مع حياتي الجديدة.. ولا بد أن تكوني قوية ولديك ثقة عالية بنفسك لكي تغيري حياتك من جحيم إلى نعيم".

هذا ما قالته "جمان" وهي تنظر اليوم إلى المستقبل بعيون فتاة طموحة وقوية تريد العيش من دون قيود وبعيداً عن مجتمع يأسرها بعادات وتقاليد أكل الدهر عليها وشرب.

لم تكن جمان محمود (27 عاما)، اسم مستعار لشابة سورية، مقيمة في إحدى الدول الخليجية، قبل خمس سنوات تقريبا تشبه جمان اليوم، كانت فتاة أخرى معنّفة تهان وتذل من قبل والدها وأخيها في كل يوم، أما الآن هي ناشطة في جمعية تدافع عن حقوق المرأة ومناهضة العنف ضد المرأة.

تروي جمان قصتها في تلك الفترة، التي تصفها بـ "السوداء"، بكلمات تظهر ارتباكاً شديداً، ربما لا تريد فتح جروح الماضي، بسبب الظلم الذي لحق بها من السلطة الذكورية في المنزل، والتي تحرم الفتاة من أبسط حقوقها، وبالكاد أنهت دراستها الإعدادية في ذلك الجو الذي يعترض على تعليم البنت ويراها عورة.

مغلوب على أمري

تقول جمان: أنا من أسرة مكونة من ثلاث شباب وأنا الفتاة الوحيدة، والدتي مغلوب على أمرها امرأة بسيطة تريد أن تعيش وتربي أولادها فقط بقليل من الكرامة في غربتها التي لا تعرف منها سوى عائلتها.

والدي "نمرود"، إن صح التعبير، قاسٍ جداً في تصرفاته، وبالأحرى معي فقط لأنني فتاة بين ثلاث ذكور يخاف أن أجلب له العار.

لجمان أخ يصغرها بسنة واحدة، اسمه عبد الله، يتقمص دور الوصي على حياتها بتفويض من الأب، "منذ صغرنا كانت معاملة أبي لعبد الله تختلف تماما عن معاملته لي، يحق له فعل ما يشاء أما أنا حتى اللعب في فناء منزلنا محرم عليّ"، تقول جمان: "هو الذكر القوّام علينا أنا وأمي في حال سافر والدي".

على الرغم من سعادتها بالخلاص من ذلك الجحيم، الذي يسمونه منزل الأسرة، إلا أن جمان تتذكر أخويها الصغيرين، جهاد وجاد، توأم لم يكملا العاشرة بعد من عمرهما، وتأمل أن تربيهما والدتها بطريقة صحيحة تختلف عن تربية عبد الله.

ترتشف الشاي من كوبها وتصمت قليلا لتعود وتتابع الحديث عن معاناتها: أن تتعرضي للضرب بسبب ومن دون سبب، وتهاني فهذا أمرٌ طبيعي، أما أن تتعلمي وتخرجي من المنزل من دون مرافقة، فذلك ضربٌ من ضروب الخيال (..) أما أن يكون لديك القرار باختيار شريك حياتك ذلك أشبه بارتكابك جريمة لا تغتفر وعقابها وخيم.

اضطهاد وتمييز ضد المرأة

تلقي جمان اللوم على التعصب الاجتماعي والديني، الذي يستمد منه الرجال سلطتهم لمسح كيان المرأة، وترى أن هناك فجوة بين الإسلام المتوارث (العادات والتقاليد) والإسلام الصحيح، بحسب تعبيرها، فالإسلام المتوارث حوّل المرأة إلى عبارة عن "روبوت" ينطق بما يرضيهم.

يعتبر مفهوما "حرية المرأة" و"المساواة بين الرجل والمرأة" في سوريا مفهومين ملتبسين، في ظل غياب الأرضية القانونية في سوريا والدول العربية، لأنها نتاج أنظمة سياسية سلطوية

استبدادية لا تعتني بمفهوم الحريات وتطبيق القانون، ووسط تفسيرات دينية جائرة تمكّن الرجل من التحكم بحياة المرأة ويجعلها تابع للرجل.

ما تتعرض له جمان يعتبر تمييزاً قائماً على التفريق بين الجنسين، وعنفاً اجتماعياً مرتبطاً بالنوع الجنسي.

موتٌ على قيد الحياة

لم يشفع لجمان ما تعانيه من اضطرابات عصبية من اضطهاد أخيها ووالدها لها، ففي إحدى الليالي وبينما كانت منزوية في غرفتها المظلمة، وهي الطريقة الوحيدة التي تخفف ألم رأسها، اقتحم عبد الله الغرفة: "تحركي اعمليلي شي أكلوا أنا ورفيقي ما عم تسمعي نشاء لله تكوني متي حتى ارتاح منك تحركي شبك".

تعرّف اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، التمييز بأنه يعني " أي تفريق أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف بالمرأة، على أساس تساوي الرجل، بحقوق الإنسان والحريات في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية".

تقول جمان: كنت متعبة لدرجة لا أستطيع رفع رأسي من الألم "أنا عندي شقيقة لما بتجيني النوبة ما بحسن ساوي شي"، ورجوته بأن يتركني: "مشان الله طلاع من الغرفة وسكر الباب تعبانة".

تضيف جمان: لم يكترث لآلامي وبدأ يضربني، من دون رحمة، وهو يردد "تعبانة أنت مجرد خدامة هون".

ضحكت جمان بصوت عالٍ، وكأنها تذكرت شيئاً ما وهي تتابع الحديث عما جرى في ذلك اليوم: "الحمد لله صاحبو كان قاعد بالصالون وما تقل العيار متل كل مرة بس كم كف".

بعد تلك الليلة العصيبة، التي فاقت احتمال جمان وطفح معها الكيل، قررت الهرب من "السجن القذر"، وبالفعل بعد ثلاثة أيام ودّعت والدتها من دون أن تخبرها بما تنوي فعله، كان "العناق الأخير".

"عندما تأكدت من أن الجميع نيام أخذت جواز سفري وحقيبة صغيرة فيها بعض الأمتعة، خرجت من غرفتي على رؤوس أصابعي (لئوسه)، خوفاً من أن يستيقظ أحدهم، وانطلقت نحو المطار بسيارة أجرة، لم أستطع إخفاء كمية الرعب التي كنت أشعر بها ولم أطمئن ويهدأ البركان في رأسي حتى وصلت وجهتي المرادة.. بيروت".

بيروت أحيتني

في مطار "رفيق الحريري" كانت، صديقتها سنا، منذ أيام الإعدادية، تنتظرها واستضافتها لمدة أسبوع في منزل عائلتها، التي تركت الخليج قبل عامين.

"كل شي سهل قدام الأيام السودة إللي عشتا"، رددت جمان هذه العبارة بشيء من الفخر ونشوة الانتصار، وهي تروي معاناتها في الشهور الأولى بحثاً عن عمل ومسكن مستقل، رافضةً أن تصف المعوقات التي واجهتها في حياتها الجديدة بالمعاناة.

جمان لم تكمل المرحلة الثانوية ولا تتقن أي لغة أجنبية أو أي مهنة، الأمر الذي جعلها تواجه صعوبة في الحصول على عمل، ولكنها لم تيأس وقررت أن تتقن الإنجليزية عبر تخصيص وقت كاف لذلك الهدف.

تقول جمان: بعد فترة عملت محاسبة في مطعم شعبي لبيع المناقيش والفطائر كان يغلق أبوابه على الساعة الواحدة ظهرا، ومردوده المادي لا يسمن ولا يغني من جوع، لذلك عملت دوام مسائي في صالون حلاقة نسائية كمستخدمة.

أشعلت سيجارتها وامتزج خضار عينيها بدمعها وهي تتابع رواية مأساتها: "كل هذا من أجل أن أكمل دراستي وأعيش حرة".

اجتازت جمان امتحانات الشهادة الثانوية بنجاح وبمعدل أتاح لها التسجيل في قسم الترجمة الإنكليزية بالجامعة اللبنانية، أما على الصعيد الاجتماعي لا تملك علاقات كثيرة، لديها صديقتها سنا وعائلتها، وبعض الصديقات التي اجتمعت بهن نتيجة لعملها في منظمة تهتم بشأن النساء والفتيات المعنفات.

تضيف جمان: لذلك تعتبر "نينا" قطتي وصديقتي المفضلة ونقضي أوقاتاً مسلية أنا وهي.

حياة كما حلمت بها

مرت أربع سنوات منذ أن تركت جمان بيت أهلها، كانت مليئة بالعمل والدراسة، ولا تخفي سعادتها بما أنجزته، "فقد خرجت من تلك القوقعة، وكونت نفسي من جديد على أساس ديني وعلمي سليم".

وتختم حديثها بالقول: رسالتي لكل فتاة قوية وواثقة من قدراتها لا تقبلي الظلم، ولا تتنازلي عن حقوقك، واصنعي الحياة التي تليق بك.. البدايات صعبة ولكن حلاوة النصر تمحو مرارتها".

«ثناء محمد»..
ضحية لزواج مبكر

روان العليوي

طالبة في المرحلة الثانوية، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«لأن الحقيقة لابد لها أن تصل، ولأن ما يحدث حولنا يتطلب القوة والمعرفة كي نستطيع توصيله.. كانت تجربتي مع (SNP) دافعاً كبيراً لي لأبدأ»

"حب وإلحاح.. تغير وقسوة.. ضرب وتعنيف وخيانة.. تشتت وضياع.. ومن ثم طلاق.. والضحية الأكبر الأولاد"، هذا التسلسل الدرامي والدراماتيكي المتصاعد نحو الأسوأ، هو شريط حياة "ثناء محمد" إحدى ضحايا الزواج المبكر وزواج القاصرات، تستعرضه بحرقة وهي عاجزة عن إيقاف التدهور في حياتها، سبيلها الوحيد، أن يعي المجتمع مخاطر المقدمات غير السليمة.

ثناء، امرأة سورية من قرى جبل الزاوية بريف إدلب، في الثلاثينيات من عمرها، أم لخمسة أولاد، وقعت ضحية للزواج المبكر وعانت من نتائجه مؤخراً بشكل مأساوي على حياتها وحياة بناتها أيضاً.

ظاهرة الزواج المبكر ليست جديدة على المجتمع السوري، وكذلك زواج القاصرات، إلا أن نسبته، في السنوات الأخيرة، ارتفعت داخل سوريا وخارجها، إذ يلجأ الأهل إلى تزويج

بناتهم في سن صغيرة لأسباب عدة منها اقتصادية، أو اجتماعية، وأحيانًا دينية.

ثناء لم تكن راغبة بالزواج، ولكن إلحاح العريس المتقدم، نتيجة إعجابه بها من النظرة الأولى، وجلبه للجاهات، الأمر الذي دعاها للموافقة، وتقول ثناء: ما شجع أهلي أنه كان يدرس الشريعة الإسلامية، فقالوا لي "عندو دين بيدير بالو عليكي".

تضيف ثناء: اقتنعت بعد تلك العبارة، لأن نظرتي لديني ولكل متدين كانت طاهرة ونقية ولا ألوم نفسي لأن العذر بالأنفس وليس بالدين، ومن هنا بدأت "تجربتي فيما يدعونه زواج".

ظلم وخيانة وتعنيف

بعد تأزم الأوضاع الأمنية في سوريا بسبب الحرب وما لحق بالبلاد من دمار، اضطر ملايين من السوريين مجبرين لترك ديارهم نزوحاً ولجوءاً.

ومع مطلع سنة 2013، وبعد تعرض زوجها للاعتقال، لفترة وجيزة، وبسبب المداهمات شبه اليومية من قبل قوات نظام الأسد، قررت ثناء الفرار مع عائلتها بأرواحهم إلى تركيا لعلها تنعم بحياة أكثر أماناً وهدوءً.

وصلت الأسرة إلى مدينة الريحانية التركية، الملاصقة للحدود مع سوريا، إلا أن حياة ثناء الأسرية انقلبت رأساً على عقب، تقول والأسى واضح على وجهها: لم أكن اعلم ان تغيّر المكان سيحدث تغيراً بالغاً في نفوسنا.. فمنذ مجيئنا إلى تركيا، وزوجي يقسو ويبتعد رويدا رويدا، وبات عصبياً ويضربني بشكل متكرر، ويهمل شؤون العائلة، الأمر الذي ترك بالغ الأثر في نفوس أطفالي.

"للمرأة غرائزها، وتشعر تلقائياً ما أن وجدت امرأة أخرى في حياة شريكها"، قالتها ثناء بغصة واضحة بصوتها، وتابعت: بعد تغيّره غير الطبيعي دخلت في صراع من الشكوك وعدم الارتياح، شعرت أن شيئا ما سيحدث".

ثناء الآن امرأة مطلقة، ومحرومة من رؤية بناتها، تتذكر أيام التعذيب، لدرجة تحولت تلك الأيام إلى تقويمها الشخصي، ففي ذلك اليوم الرمضاني قبل عامين، تروي كيف ضربها وتركها مضرجة بدمائها.

تقول ثناء: بينما كنت أحضر طعام الافطار في أواخر شهر رمضان، نظرت من النافذة المطلة على الشرفة حيث كان يجلس ويتحدث باندماج على هاتفه.. أقتربت إليه قليلاً اقتراباً غير ملحوظ ونظرت لشاشة هاتفه، والنار قد اتقدت في قلبي، قاطعته مدعية المزاح كمن يكذب نفسه وعيناه، "مين هي يلي عم تحكي معها، عم تخونني يا ضرسان ".

كانت ردة فعل الزوج حينها صادمة، فما أن أنهت عبارتها تلك حتى أشبعها ضرباً وشتائم، "إيمتى بدي أخلص منك يا....."، وتضيف ثناء: كانت كلماته أقسى على قلبي من ضربه بآلاف المرات، أما خيانته التي اتضح مدى جديتها لاحقاً، أحدثت شرخاً في نفسي وبيتي، وانقلبت حياتي إلى جحيم.

"لو أمي كانت مكملة تعليمها ومو رادة لمجتمعها ما كانت افترقت عنا هلق"

"صبرت لأجل أولادي"

كما غالبية النساء في المجتمع السوري لم تطلب الطلاق، مثلما أوضحت ثناء، بل فضلت أن تخمد نارها تلك محاولة انتشال ما تبقى من ذاتها وعائلتها، إلا أن نتائج عكسية أفرزها هذا القرار، الذي تصفه بـ "الخاطئ"، معبرة عن ندمها.

تقص ثناء، مأساتها، والدموع تنهمر من عينيها وهي ترمق صور بناتها من على شاشة هاتفها المحمول: أخترت السكوت لأجل أولادي، كي لا يتشردوا.

تعرف ثناء إنه ليس بمقدورها إعالة الأولاد، فهي لم تكمل تعليمها بسبب زواجها المبكر، ولا تريد أن يفشل أولادها في حياتهم، كما حدث معها، لذا قررت أن تعطي زوجها الفرصة تلو الأخرى، "لعله يتوب ويندم".

كشفت ثناء خلال حديثها عن جسدها، وإذا بآثار التعذيب لا تزال ظاهرة رغم مرور مدة طويلةعلى الانفصال، فقد

اجتمعت جميع الألوان على جسدها، "كان يضربني كل يوم من دون رحمة، ذلك هو الشيخ اللي عندو دين!".

"أنتِ طالق"

تفاقمت الأوضاع داخل الأسرة وكثرت المشاكل، نتيجة إفراط الزوج وتماديه بالعنف، إلى أن جاء ذلك اليوم المحتوم، تروي ثناء تفاصيله متعالية على آلامها: العام الماضي وبعد فترة وجيزة من عودته من أداء فريضة الحج، حدثت مشكلة بيننا وكعادته بدأ بالضرب، واجتمع الجيران على صوتي، ولكن فجأة قُرع الباب شعرت بالخوف والراحة في آن واحد!، "خبأته في الحمام وذهبت لأرى من الطارق".

إذا برجل ضخم يرتدي بدلة عسكرية، يبدو أنه من الشرطة التركية، يتحدث العربية بلهجة عامية مفهومة، كانت جارتي أم أحمد قد أبلغت الشرطة:

- مرحبا يا اختي، خبرونا الجيران انو في مشكلة هون.. وين زوجك؟

- اجبتهم: لا أخي ما في شي، وزوجي مو هون.. مسافر.

- لكان ليش هيك وجهك فيه آثار ضرب، بتمنى تحكي الحقيقة ولا تخافي.

- لا ما في شي بس، مريضة شوي.. شكراً إلكن.

وأغلقت الباب حائرة، لا أعرف ما أن كان تصرفي صائباً أم لا؟

ولكن المفارقة العجيبة أن حفلة التعذيب لم تنته بعد مغادرة الشرطة، وتكمل ثناء حديثها: دخلت أحسب أن الاجرام انتهى هذا اليوم فإذا به يسحبني للغرفة ويواصل الضرب من جديد إلى أن سالت دمائي وأغمي علي، أدار ظهره تاركاً المنزل وكان آخر ما تلفظ به "أنتِ طالق".

ترك ثناء مع بناتها الأربع في المنزل وحيدات، وذهب لعقد قرانه على تلك المرأة، وبدوره الابن الأكبر، وهو شاب في مقتبل العمر، ترك المنزل غاضباً وإن فكر بزيارة أمه لا يأتيها إلا وهو سكران فاقد عقله، كما أن الشيخ (الزوج) أخذ أموال المنزل وتركهم من دون نفقات للطعام والشراب.

وبعد مرور فترة زمنية، قصيرة المدة كثيرة الوجع، قررت ثناء العودة لأهلها في سوريا تاركةً الأولاد الثلاثة الكبار عند أبيهم وزوجته الجديدة، وأخذت طفلتيها الصغيرتين.

البنات ضحايا

"أمي.. إن أبي يريد تزويجنا أنا وأختي عفراء، عمري لم يتجاوز الرابعة عشر وعفراء أصغر مني أنها طفلة.. كيف يمكنه ظلمنا بهذه الطريقة! ألا يكفي ما تفعله بنا زوجته، إننا نختنق يا أمي أرجوكِ عودي"، هذا ما قالته ابنتها رزان في مكالمة هاتفية، لم تستطع ثناء الرد عليها واكتفت بالبكاء.

على إثر ذلك قررت ثناء العودة إلى تركيا مع أخيها كي ترى ابنتيها، ونزلت ضيفة عند جيرانها بعد الوصول، بينما ذهب أخوها إلى مدرسة الفتاتين كي يحضرهن لحضن أمهن.

تنهدت الأم بحزن: لم أكن أعلم أنه سيحدث شيئاً أقوى جرحاً لقلبي من لقائي ببناتي، فبعد أن ودعتهن وذهبت أنا وأخي لإيصالهن لبيت أبيهم، إذا بالشيخ (طليقها) آتٍ وبيده سكينة غرزها برأس أخي بلا تردد.

تضيف ثناء: من هول صدمتي هجمت عليه لأضربه فألقاني أرضاً وهرب، وعدت مع أخي الجريح لبلدي عاجزة عن فعل أي شيء، "منتظرة فرج الله".

تشير إحصائيات صادرة عن وزارة العدل في سوريا إلى أن نسبة الزواج المبكر بالنسبة للقاصرات السوريات ارتفعت إلى 14% خلال سنوات الحرب بعد أن كانت 7% قبل الحرب.

كما ارتفعت حالات الطلاق أيضاً، حيث وصلت نسبة الطلاق في الزيجات الجديدة إلى 27% في عام 2016، بحسب القاضي الشرعي الأول في دمشق، محمود المعراوي، الذي أكد أن حالات زواج القاصرات المرتفعة هي أكثر أنواع الزواج التي تنتهي بالطلاق.

التعليم والعمل سلاح لكل فتاة

أما رزان الفتاة ذات الخمسة عشرة ربيعاً، كانت ضحية وشاهدة على مأساة أسرتها، لا سيما أمها، أحبت أن توجه رسالة إلى "مجتمعنا الجاهل"، بحسب وصفها.

تقول رزان: "بتمنى من مجتمعنا يصحى ويغير من أفكاره وعاداته لو شوي، الشغل

والدراسة مو عيب ومو غلط، ولما وحدة ترفض الزواج هي وصغيرة مو غلطانة وما بتعرف مصلحتها، بالعكس هي اكتر حدا بيعرف مصلحتو لأنو العلم والعمل سلاح لكل فتاة، وهي بحاجة انها تكبر وتتعلم لحتى تقدر تربي ولادها وتقدر تعيلهن".

"لو أمي كانت مكملة تعليمها ومو رادة لمجتمعها ما كانت افترقت عنا هلق، يا ريت تصحو على حالكن لحتى ما تتدمرو بالمستقبل، وما تكونو ظالمين بحجة الدين.. الدين أخلاق وليس زي تفصلوه أو تلبسوه على كيفكون".

«أطفال الحرب»..
ضحايا زواج السوريات من مقاتلين أجانب

نور الحجي

طالبة سنة أولى، علوم سياسية، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«إذا كان مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.. خطوتي الصحفية الأولى بدأت مع (SNP)»

"الحقيقة الوحيدة بين كل الظلم وقسوة الحياة التي مررت بها وعشتها، من دون أن يكون لي الاختيار، هي أنهما فلذات كبدي"، تقول ريم وهي تضم ولديها، مجهولي النسب.

ريم فتاة سورية من ريف إدلب، رفضت الكشف عن اسمها الكامل، إلى الآن لم تتجاوز العشرين من عمرها، إلا أنها تحاول تجاوز ما أورثته لها الحرب. فهي ضحية زواج من مقاتلين أجانب، ينتمون إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش).

يعتبر زواج السوريات من المقاتلين الأجانب، لا سيما الذين يقاتلون في صفوف التنظيمات المتطرفة، من أخطر الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في سوريا خلال الأعوام القليلة الماضية، ومع انحسار دور هذه التنظيمات على الأرض، ومقتل الكثير من عناصرها (المجاهدين)، تركوا وراءهم أرامل وأيتام لمصير مجهول، في ظل غياب أي وثائق تثبت نسب الأطفال.

تقول ريم: عندما أنظر إلى طفليّ وهما يضحكان تنتابني السعادة؛ وأفرح لفرحهم؛ ولكن سرعان ما تختنق ضحكتي،

وأتذكر شريط الألم وأيام الضياع والضعف التي عشتها وأعيشها، متسائلةً: كيف انسرقت طفولتي مني وصرت مسؤولة عن أرواح أطفالي "اللي هنن الجزء الأكبر من مأساتي وضياعي".

النزوح إلى "أرض الخلافة"

نزحت ريم مع عائلتها، قبل أربعة أعوام، من ريف إدلب إلى مدينة الرقة، تلك المدينة التي اتخذها تنظيم "داعش" عاصمة للخلافة التي أعلنها في أواسط عام 2014، سارت حياة العائلة بشكل طبيعي وهادئ، ولكنها لم تدم طويلاً، وبعد أشهر قليلة قُتل الأب في إحدى المعارك.

على ما يبدو أن والد ريم كان من منتسبي التنظيم (هي لم تقر بذلك صراحة)، بعد مقتله خرجت العائلة في رحلة نزوح أخرى إلى مدينة تل أبيض، القريبة من الحدود التركية شمالي الرقة، برفقة عم ريم وعائلته، وأصبح العم، المقرب من تنظيم "داعش"، مسؤولاً عن ريم وأمها وأخويها وأختيها الصغار.

تقول ريم: "بعد استشهاد والدي، زوجني عمي أنا وابنته لمهاجرين أجانب".

تزويجها لـ "جهادي" مغربي

لم يستمر زواج ريم من مهاجر مغربي سوى شهرين، فقد انقطعت أخباره، ولا تعرف عنه سوى أنه مغربي ويكنى بـ "أبو قتادة"، خرج في مهمة قتالية ولم يعد، فهؤلاء المهاجرون يتنقلون بين المدن وجبهات القتال، نتيجة كثرة المعارك وكثافة الغارات التي تشنها طائرات التحالف الدولي، بقيادة واشنطن، ضد التنظيم.

تضيف ريم: في تلك الأثناء حملت في جوفي طفلي الأول الذي اختارته الحرب ليكون ضحيتها للمجهول من دون أي نسب أو هوية أو جنسية.

بعد عام ونصف، الفترة التي تساوي فترة "العِدة" للمرأة حسب الشريعة الإسلامية، قرر عمها الذي انتقل إلى منطقة أخرى قريبة من الرقة، بالنيابة عنها تزويجها مرة أخرى لمقاتل أجنبي آخر في صفوف التنظيم.

"جهادي" آخر وطفل آخر

كل ما تعرفه ريم أن زوجها الثاني لم يكن عربياً، بل مهاجراً من أصول أجنبية. ولكن لم تنتهِ

المأساة هنا، تضيف ريم: بعد فترة وجيزة من زواجي منه. قال البعض أنه اختفى والبعض الآخر يقول إنه قتل أثناء إحدى المعارك.

في ربيع هذا العام نظم ناشطون سوريون في كل من محافظة إدلب وريف حلب الغربي وريف حماة الشمالي حملة "من زوجك؟"، لتسليط الضوء على ظاهرة "زواج السوريات من المقاتلين الأجانب"، الجديدة على المجتمع السوري.

وأحصت الحملة في إدلب وحدها 1735 حالة زواج منذ عام 2013 بينها حالات زواج لقصر (تحت سن الـ 18)، 1124 منهن أنجبن 1826 طفلاً، و193 منهن تم طلاقهن أو أصبحن أرامل بعد مقتل أزواجهن في معارك مختلفة. فضلا عن 165 حالة اختفى فيها الزوج ومازال مصيره مجهولاً.

هذه الظاهرة الخطيرة على الصعيد الاجتماعي، دفعت مجلس الإفتاء التابع للمجلس الإسلامي السوري، الذي يتخذ له مقراً في اسطنبول، إلى إصدار فتوى تخص هذه القضية، مضمونها أنه "لا يجوز لولي الأمر تزويج الفتاة من رجل يخفي اسمه ونسبه وأصله، لما يخلفه ذلك من أضرار ومفاسد شرعية واجتماعية أيضاً".

وبحسب مراقبين لهذه الظاهرة، يعتبر غياب الوعي في المناطق الريفية أحد أبرز أسباب الذي ساعد على انتشارها في الأرياف أكثر من المدن، كما يأتي في المرتبة الثانية انتماء الزوجة إلى عائلة فيها مقاتلين منتسبين إلى هذه التنظيمات، ثم يأتي بعده الفقر في المرتبة الثالثة.

ما المصير حسب القانون السوري؟

ريم تقيم الآن مع أمها وطفليها مجهولي النسب والهوية في إحدى المخيمات في ولاية هاتاي التركية، وتندب حظها قائلة: "كان لازم أنا يلي موت بدل أبي، كنت أنا أحق بالموت".

ظلم عمها والحرب لها ولأطفالها جعلها ناقمة على الحياة والرجال أيضاً، وتضيف: "بحجة أنه بدو يسترني زوجني مرتين وهلق أنا أرملة وأم لطفلين كيف بدي أدبرهن".

ريم لم تكمل تعليمها، لأنها عاشت في بيئة متشددة، تعتبر المرأة عورة، ولا تعطي أي اعتبار لرأي المرأة لمجرد إنها امرأة، فقد زُوّجت مرتان وهي قاصر، من دون حتى أن يؤخذ رأيها بتقرير مصير حياتها، لكنها في نهاية المطاف تُركت وطفليها يواجهون المجهول.

تقف ريم بلا حيلة أو سند، فتاة عشرينية تحمل أعباء وخوف من المستقبل المجهول الذي ينتظرها وطفليها.

قضت المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم 276 لعام 1969 المتضمن قانون الجنسية العربية السورية بما يلي :
يعتبر عربياً سورياً حكماً:
أ- من ولد في القطر أو خارجه من والد عربي سوري.
ب- من ولد في القطر من أم عربية سورية ولم تثبت نسبته إلى أبيه قانوناً
وترى "المنظمة الوطنية لحقوق الانسان في سورية"، بأن هذا المرسوم بصيغته الحالية ينطوي على تمييز واضح بين كل من دور الأب ودور الأم في نقل الجنسية للمولود في التشريع السوري.
حيث يظهر من النص التشريعي الذي ينظم مسألة الجنسية السورية الأصلية أن الأب له دور مطلق في نقل الجنسية للمولود وسواء أكان الميلاد داخل القطر أم خارجه (ف1) وهذا هو حق الدم من الأب بشكله المطلق، أما فيما يتعلق بدور الأم السورية في نقل الجنسية لمولودها نرى أن نص الفقرة (ب) يشترط أن تكون الولادة في سورية وألا يثبت النسب من الأب بشكل قانوني حتى تستطيع الأم السورية أن تنقل جنسيتها لمولودها.
فإذاً هناك ثلاثة شروط يجب أن تتوافر وهي:
- أن تكون جنسية الأم سورية لحظة الولادة.
- أن تكون واقعة الولادة قد حصلت في الإقليم السوري.
- كما يجب عدم ثبوت نسب المولود لأبيه قانوناً.
وعليه فإنه إذا كانت الولادة لأم سورية قد حصلت خارج الأراضي السورية فلا يكتسب المولود جنسية أمه السوري. وفي هذا تقليل من قيمة دور الأم في نقل الجنسية لمولودها، بحسب دراسة أعدّتها المنظمة بعنوان "حق أبناء الأم السورية المتزوجة من أجنبي في حمل الجنسية السورية ((دراسة مقارنة))، نشرتها في موقع "الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان"، بتاريخ 13 كانون الأول/ ديسمبر 2009.

ريم سورية، كما أن واقعة الولادة حدثت في سوريا، فهل ستستطيع منح جنسيتها لأطفال "داعش"؟

كل ما تخشاه هو عندما يكبر الوالدان ويسألاها من نحن؟، وتتساءل شاكيةً حظها: ”مين رح حاسب على ضياع عمري.. عمي، أم الحرب، أم مجاهدين ضيعوا عمري باسم الدين“.

وتختم ريم، قصة حياتها حائرة، ومطلقة كم من الأسئلة التي تعج بصدرها:

”شو بدي قول لأولادي بس يكبروا؟ كيف بدي أحكيلهم أنو أنا ما بعرف هنن لمين بينتموا ولا بعرف أصولهن؟ أو كيف بدي قلن أنه هنن كل واحد من أب؟.. كيف بدي اتحمل أحكيلهن عن مأساة عاشتها أمهم بعمر الـ 16 سنة؟!“.

يبدو أن هذه الحرب حاربت كل منا لوحده ولم تكن عادلة أبداً أبداً.

ميسون..
فريسةٌ لرغبات شقيقها

أية عبد الله

طالبة في سنة التحضير الجامعي، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«حلمي الذي أطمح إليه بدأ مع (SNP)، التي ساعدتني في ترتيب كل ما يجول في خاطري لإنتاج وليدي الأول في الصحافة»

«لطالما حذرتني أمي أن أبتعد عن الغرباء وألا أثق بهم لكنها نسيت أن تخبرني أن الطعنة قد تكون من أقرب الناس"، تروي "ميسون" والخوف يتلبسها، كيف تعرضت لتحرش جنسي متكرر من قبل شقيقها المراهق.

ميسون محمود (اسم مستعار)، لم ترغب بكشف اسمها الحقيقي لحساسية الموضوع، تبلغ من العمر ٢٠ عاما، وهي الابنة الوحيدة في عائلة سورية مؤلفة من أربعة شباب ذكور، وقعت في سن المراهقة، فريسة لاستغلال جنسي من قبل أحد إخوتها، أو ما يُعرف وفق المفهوم الديني بـ "زنا المحارم".

وتعتبر الجرائم الجنسية من أكثر الجرائم التي تفكك المجتمعات وتضعف تماسكها، لا سيما في مجتمع "محافظ" كالمجتمع السوري وتعكس وجود خلل عميق في التربية والسلوك عند أفراده، نتيجة ضعف "الثقافة الجنسية"، فضلاً عن الثقافة المتشنجة تجاه مفهوم "الشرف".

لم يكن من السهل على ميسون الإفصاح، عما كان يفعله

شقيقها معها، أنه سرها "الثقيل" الجاثم على صدرها، فكان الخوف بادياً عليها وهي تفشي بالسر لأول مرة.

ماذا حدث؟

"فتح وائل باب غرفتي بهدوء مبتسماً ابتسامةً صفراء حينها لم أبالي فبادرته بابتسامة، جلس على السرير وضيق المسافة بيننا وبدأ يتحدث معي بطريقة غريبة لم أفهمها كانت نظراتهُ لي مريبة!". لم تكمل ميسون حديثها هذا، لأنها غرقت بالبكاء، فكان لابد من التوقف والصمت للحظات.

كانت في الخامسة عشرة من عمرها، عندما بدأ شقيقها وائل، الذي يكبرها بسنة ونصف، التحرش بها، وتذكر تفاصيل ذلك المساء جيداً، عندما بقيت لوحدها في المنزل بعد خروج أمها لزيارة إحدى الجارات.

انقبضت ملامح وجه ميسون وهي تتابع حديثها: ترجيتهُ كثيراً بأن يبتعد عني لكنه قال لي "خرسي وإذا بتحكي لحدا لسانك بحرقلك ياه".

وتضيف: خفت جداً من أن أخبر أمي بما حصل لقد كان يهددني حتى بنظراتهِ لي، لم أعد قادرة على النوم كنت أشعر بأنه في أي لحظة سينقض علي.

بعد تلك الليلة تكررت اعتداءات وائل وتحرش بميسون على مدار عامين، وبنبرة مليئة بالرعب تقول: كان يستغل أي موقف أكون فيه لوحدي ليلمس أطراف جسدي النحيل، "كنت أحترق يوميا من الداخل عاجزة حتى عن الصراخ".

"مجتمعنا محافظ ينكر هذه الظواهر، ويدفن رأسه بالرمال، فقد اعتدنا اخفاء ما يتعلق بالجنس خوفا من وصمة العار".

"مجتمعنا محافظ ينكر هذه الظواهر، ويدفن رأسه بالرمال، فقد اعتدنا اخفاء ما يتعلق بالجنس خوفا من وصمة العار".

"تابو" الجنس

لا يعدّ ما تعرضت له ميسون، نادر الحدوث، بل هناك العديد من الرجال والنساء والأطفال الذين تعرضوا لمثل هذه الأفعال في طفولتهم أو مراهقتهم، وحملوا تداعياتها النفسية لفترات طويلة، وربما لم يستطيعوا التخلص منها، لأن "تابو" الجنس في المجتمعات الشرقية يكمم الأفواه، ولا يشفع للضحية.

ميسون الآن، متزوجة ولديها طفلة، تعيش حياة طبيعية مع أسرتها الصغيرة في تركيا، بالكاد استطاعت التخلص من الآثار النفسية الصادمة لما مرّت به، بعد زواجها وخلاصها من ذلك المنزل.

أصبح صوت ميسون هادئ وهي تروي يوم تقدم فيه محمد (زوجها) لخطبتها، "لم أتردد في اتخاذ قرار الزواج علَّ هذه العلاقة الجديدة تغلقُ صفحة الماضي (..)، ولكن كان من الصعب عليّ تقبل زوجي في البداية".

"كنت أخاف ما كون بنت"، كانت ميسون تخشى ألا تكون عذراء، لأنها لم تكن تعرف كيف تتحول "البنت إلى امرأة"، نتيجة ثقافة جنسية ضحلة في محيطها، على ما يبدو.

وتغيب الثقافة الجنسية عادة، في المجتمع السوري، سواء كان في المنزل أو في المناهج الدراسية، فيما عدا بعض الدروس الدينية "السطحية"، التي تتناول مواضيع كـ"العادة الشهرية" وسبل التطهر منها، من دون التطرق إلى المعلومات الصحيحة التي لا بد للطفل أو المراهق اكتسابها لمنع انحرافه مستقبلاً.

وكشفت صحيفة "صدى الشام"، في تحقيق نشرته قبل شهرين أن "التربية الجنسية" حلقة مفقودة من المناهج الدراسية في سوريا، وأن هناك اختلاف في آراء السوريين بين مؤيد ومعارض لادخال مادة الثقافة الجنسية في المناهج الدراسية، بينما يرى البعض أن تعليم الثقافة الجنسية للطفل يجب أن يكون في المنزل، وليس المدرسة.

بعد عام من زواجها رزقت ميسون بطفلة اسمتها نور، أما أخوها وائل فقد قتل في قصف جوي شنته طائرات النظام السوري على مدينة حلب، وتقول ميسون: بعد أشهر قليلة من ولادة نور أتتني مكالمة هاتفية من أمي:

- ألو .. اهلين إمي.

- أخوكي وائل مات يا بنتي.

قطعتُ الاتصال، ولوهلةٍ شعرتُ بالفرح لا أدري أكانت هذه عدالة السماء أم أن القدر حاول معاقبتهُ؟!.

لم تستطع ميسون، إلى الآن إخبار أحد بقصتها، وإلى ساعة كتابة هذه القصة، كان الخوف ينتابها، لذا اشترطت بأن نستبدل الأسماء الحقيقة بأسماء مستعارة، ومع ذلك ختمت حديثها:

"لا يجب علينا أن نلعب دور الضحية بجميع أبعادها فنحن أيضا نشارك في نفس الجريمة حين نكتفي بالصمت.. امنحوا أولادكم حق المصارحة وعلموهم".

"مجتمعنا محافظ ينكر هذه الظواهر، ويدفن رأسه بالرمال، فقد اعتدنا اخفاء ما يتعلق بالجنس خوفا من وصمة العار".

«شغف خليل».. فتاة أنضجتها الحرب

بتول عنكير

طالبة سنة أولى إعلام في جامعة مرسين، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«ما يجعلني أطمئن هو أن حلمي في يدي، (SNP) فتحت لي الباب أمام تحقيقه»

"لم تكن أحلامها عصية، ولم تشبه أحلام باقي الفتيات؛ كفستان وعريس يأتيها على فرس أبيض، ولكن تحاول الانتصار على الحرب التي سرقت منها أحب الناس إلى قلبها".

شغف خليل (18 عاماً)، شابة سورية من جبل الزاوية في ريف إدلب، فقدت أمها وأحد إخوتها في قصف عشوائي من قبل طائرات النظام السوري، تحاول التغلب على أوجاعها وألا تستسلم للحرب.

"رغم بشاعتها المطلقة، ورغم سلبها لأغلى ما في الوجود، إلا أنها جعلت من أحلامي أكثر نضوجاً.. أنها الحرب التي أرفض أن تأكل حياتي"، تقول شغف، بتحدٍ يكشف حزنها العميق، وهي تروي قصتها.

نحاول في هذه القصة تسليط الضوء على جانب بسيط من آثار الحرب على الأسرة السورية، وقصص أولئك الذين يواصلون الحياة رغم المآسي، وقد تكون هناك مآس أشد إيلاماً حدثت خلال الحرب التي توصف بأنها أكبر مأساة إنسانية

بعد الحرب العالمية الثانية.

فقدٌ أول

عانت أسرة شغف مرارة الفقد، بمقتل أخيها الأصغر، محمد (12 عاماً)، لا سيما أمها التي لم تحتمل خسارة فلذة كبدها، وآخر العنقود، كان وجوده يملأ البيت فرحاً.

تقول شغف: أذكر جيداً ذلك اليوم حين جاء صديق محمد لزيارتنا وأمضى ليلته في منزلنا، كانت الليلة الوحيدة التي فارق بها حضن أمي، كما أتذكر قلق أمي التي جافى النوم عينيها وكأن شيء ما سيحدث".

"في الصباح أعدّت أمي وجبة الإفطار من جميع الأطعمة المفضلة لدى محمد وكأن حدسها يخبرها بأنه اليوم الأخير".

اعتاد محمد الذهاب كل يوم لمساعدة أخيه الأكبر في العمل داخل "بقالية" تملكها الأسرة في قرية "كنصفرة"، وفي ظهيرة ذلك اليوم اشتد القصف على القرية، كانت أصوات انفجار "البراميل المتفجرة" مرعبة.

هرعت الأم إلى مكان سقوط البرميل، حافية القدمين وفاقدة لصوابها، ولكنها لم تر سوى بقع الدم وحذاء طفلها متفحماً، وذهبت إلى المستشفى الذي نقل إليه لتبحث عنه بكل حواسها، فرأته جثة هامدة.

لم تتقبل الأم فكرة فقدان محمد، وكانت تذهب إلى مكان مقتله كل يوم رغم يقينها التام بعدم وجود أي شيء، لتبحث عن أي فتاتٍ باقٍ منه وتكمل طريقها مثقلة بالخيبات والألم.

ونفذ صبرُ أمي

"في كل مرة تمطر فيها السماء تسبقها عينا أمي، وتقول "حمودة بيبرد شو بده يصير فيه"، ولطالما ترفع يدها إلى السماء راجيةً ربها: "الله يلحقني فيك يا ابني".

طوال أربعة شهور لم تكف الأم عن البكاء، ولم تستطع شغف إكمال ما حدث، لأنها لم تكن تتصور أنها على موعد مع فاجعة أخرى.

تقول شغف والدموع تنهمر على خدها: استيقظت أمي ذات صباح وذهبت إلى محل أحد أقاربنا لإحضار علف للبقرة التي ربتها في بيتنا منذ سنوات، وفجأة تكررت أصوات الرعب

وكأنها عالقة في أحشائي.

"ظنت أمي حين سمعت أصوات الصواريخ أن عمود الكهرباء الموجود في زاوية الطريق سيحميها (..) فأصابني الهلع وركضت مرتابة على أملي الباقي، وكأن أمي أورثتني شعورها المسبق بالأشياء". أمتلأ جسد الأم بالشظايا، وبعد نقلها إلى المستشفى أخبر الأطباء الأسرة أن حالتها تتحسن وباستطاعتها الخروج بعد ساعات.

وتتابع شغف: أمي التي لطالما تمنت أن يعجّل الله أجلها من بعد استشهاد محمد أرادت التمسك بحياة زهدتها من أجلنا. أوصتني بأن نؤدي مناسك الحج بالنيابة عنها، ودفع ثمن كيس ملح اشترته صباحاً من بقالية في حينا.

في كل مرة تمطر فيها السماء تسبقها عينا أمي، وتقول: «حمودة بيبرد شو بده يصير فيه»

وجه أمي للمرة الأخيرة

شغف التي عاشت الأشهر الماضية في ظل فقد أخيها عرفت أن فقداً أكبر بانتظارها، كانت أمنيتها الوحيدة أن تنجو أمها، لكن الأطباء أخبروها أن شظية لعينة تسللت من أسفل الكتف إلى القلب أدت إلى الوفاة.

"مرة أخرى بكيت بكاء فقدٍ لا يعوض، بكيت من أعمق نقطة في جسدي، من أطراف أصابعي ونهايات شعري حتى شعرت أني صرت نهراً من البكاء يجري، فغياب أمي يقتل كل شيء بلا استثناء".

على مدى أكثر من سبع سنوات، فاقت مضاعفات الحرب وتداعياتها السلبية على الأسرة السورية قدرة الاحتمال، حرب خلفت نحو مليون ونصف ضحية بين قتيل وجريح ومفقود ومعتقل، وفق تقديرات غير رسمية، ونزوح الملايين إلى دول الجوار والاتحاد الأوروبي.

ومن أكثر الفئات المتضررة بالحرب السورية هي النساء والأطفال، لأن المعارك كانت تستهدف المدنيين بشكل مباشر، فضلاً عن ارتفاع عدد القتلى، الأمر الذي خلف آرامل وأيتام.

وتشير آخر تقديرات منظمة اليونيسيف، التابعة للأمم المتحدة، إلى أن عدد الأطفال الأيتام في سوريا قد يصل إلى مليون طفل، غالبيتهم يعيشون من دون كفالة.

نهضت لأجل أمي

بعد فترة من موت أمها تغيرت حياة شغف ليصبح على عاتقها العديد من المسؤوليات، وهي التي لم يخفت حزنها مع الأيام لكنها أجبرت على النهوض.

تقول شغف : بعد مرور شهر ونصف على استشهاد أمي افتتحت المدارس في البداية لم أرغب بالخروج من البيت، لكن أمي أوصتني، ولطالما كانت تنظر لي بفخر وتحثني، لذا درست وتعبت كثيراً، وكلما لاح لي وجهها أكملت بقوة".

في نهاية السنة الدراسية كانت درجات شغف مبشرة رغم الجرح الخامد في صدرها، وتتذكر يوم صدور النتائج، "عدت وصديقاتي من المدرسة، كانت كل واحدة منهن تنتظرها أمها لتطمئن عليها، أما أنا فقد شعرت بغصة وفراغ رغم أنه كان يجب عليّ أن أفرح بنجاحي لأجلها".

وبعد مرور عام تقريباً، تزوج الأب، ولم تتقبل شغف أن يحل أي إنسان مكان أمها، فاستقلت في غرفتها وتابعت دراستها الثانوية حاملة كلام وآمال أمها بين عينيها.

أنهت شغف دراستها الثانوية عام 2016 بنجاح كلله التفوق مما سمح لها بإكمال دراستها الجامعية في قسم اللغة الفرنسية في "جامعة إدلب الحرة"، والتقت مؤخراً بشريك حياتها.

وتختم شغف حديثها: كنت أؤمن بأن القدر كفيل بأشياء كثيرة لكن في وقتها المناسب، "طارق" عوضني الله به، وأصبح سندي ويقيني، اعتدت وجوده وتغيرت حياتي، وأسعى الآن أن أسافر إلى ألمانيا عن طريق ما يسمى "لم الشمل" إلى حيث طارق.

آملُ في مستقبل أجمل لي ولعائلتي.. أنا لن أقف في منتصف الطريق وسأسعى للأفضل لأجل أمي وقضية بلادي وإكمال ما تبقى من أحلام.

«عليا إسماعيل»..
ضحية مزدوجة على يد سفاح ومجتمع

"بقع الدم تملأ أرجاء المكان المظلم، كنت أصرخ "وين اخديني"، وأسمع عويل الشباب وهم يرطمون الجدران برؤوسهم ألماً وصراخاً.. يا الله يا الله"، تقول "عليا": هذا المشهد لا يفارقني، ودائماً يومض في رأسي ككابوس عشته في زنزانة "أمن الدولة" في حماة، وبالكاد تعافيت مما لحق بي من آثاره الاجتماعية والنفسية على حياتي.

عليا إسماعيل (اسم مستعار)، امرأة سورية من ريف حمص، نشطت، في السنوات الأولى من الثورة، في المجال الإغاثي والطبي وعملت في معالجة الجرحى والإسعافات في المشافي الميدانية.

دفعت عليا أبهظ الأثمان، مما يمكن أن يدفعها الإنسان مقابل موقف اتخذته، تعرضت للاغتصاب المتكرر من قبل ضباط في الأجهزة الأمنية التابعة لنظام بشار الأسد، فضلا عن الاعتقال والتعذيب الوحشي والنبذ الاجتماعي.

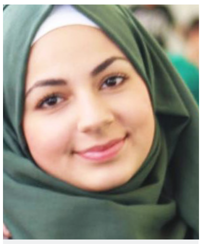

جودي الكُتاب

طالبة سنة أولى هندسة ميكانيكية، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«أؤمن بأن الحلم كالثمرة كلما سُقي أينع وأثمر، وبجهود الشبكة السورية للإعلام المطبوع (SNP) بات حلمي بأن أكون صحفية قريباً»

العمل في المشافي الميدانية

كانت عليا تشعر بالخوف عندما ترى الشباب يتظاهرون مطالبين بالحرية، لكنها مع ازدياد القمع الدموي وارتكاب قوات النظام مجزرة أطفال الحرية قبل ست سنوات، اتخذت قرارها بالانضمام للثورة سراً من دون عِلم أحد من أهلها بمن فيهم زوجها.

عليا تمتلك شجاعة وقررت مواجهة الظلم، وترفض الذل وهذا ما جعلها تعمل في إحدى المشافي الميدانية، وتقول: في إحدى المرات كنا في المشفى نداوي الجرحى، تفاجأت بدخول زوجي الذي تفاجئ بدوره بما أقوم به، فالنظام أورثنا الخوف والرعب طوال 40 عاماً.

انكشف أمر عليا، وباتت مطلوبة للجهات الأمنية بسبب نشاطها الثوري، وذلك بعد اعتراف زوجها، تحت التعذيب، بأنها تعمل في المشافي الميدانية، وصدرت مذكرة باسمها لمراجعة أمن الدولة في حماة.

الأمر الذي جعل عليا تفكر بالهروب لوحدها والتواري عن الأنظار بعدما أودعت اطفالها في بيت أهلها، لكن الأمر لم يدم طويلا فقد داهمت قوات من فرع أمن الدولة منزل أهلها بطريقة وحشية واعتقلت عليا على نحو مهين.

”بعد خروجها من المعتقل، كانت عليا تظنّ أنها ستقابل أمها وتحضنها كونها هي الملاذ الوحيد في دنياها البائسة، معتقدةً أن أهلها ينتظرونها بفارغ الصبر بعد سجنها الأسود، ولكن ما حدث لم تتوقعه“.

وقعت في كمين

لم تكن عليا تتصور أنه سيتم اعتقالها من بين أطفالها وعائلتها، ففي صباح يوم خريفي من عام 2012، ذهبت عليا لتطمئن على أطفالها بالرغم من معرفتها أنهم تحت رعاية أمها الحنون.

تقول عليا: ”كان صباح يوم خميس، وبينما كنت أتناول فطوراً

من صنع يد أمي إذ بالهاتف يرن، (الو.. اتفضل مين أنت؟)، إذ بصوت يدوّي صداه في أذنيها (البيت اتطوّق)".

تتابع عليا رواية ما حدث في ذلك الصباح: فجأة انهار باب المنزل بركلة متوحشة من قبل عناصر الدورية وحدث ما حدث.

لم يسمح المداهمون لعليا بارتداء ملابسها، وجروها جراً في وسط الحي، بطريقة مُذلة، وأودعوها في زنزانة تصفها بأنها "قبر"، ولكنها عاجزة عن وصف التعذيب الذي تعرضت له خلال شهر في أقبية مظلمة، لا تزال تعاني من مضاعفاته صحياً.

اغتصاب الروح والجسد

تروي تفاصيل اعتقالها وتقول: في البداية حولوني إلى منفردة، وبعد تحقيق استمر ثلاثة أيام، ومن ثم وضعوني في غرفة صغيرة مع أربعة شابات، وبعد معرفتي لقصص تلك الشابات، تذكرت مقولة "من سمع مصيبة غيره هانت عليه مصيبته".

تضيف عليا: "أول ما دخلت على قبري تذكرت أولادي الأربعة وهون انقطع قلبي، كان في جثة على الأرض وعم يطلع منها الدود، وفوق هيك كانوا يجيبولنا قطط لتتغذى على الجثة ونتعذب نحن".

يبدو كل ما قالته عليا كان تمهيداً لما هو أفظع، ففي إحدى المرات تقدم أحد الجلادين وصرخ بوجهها قائلا:

- "أنتي وياها امشوا معي اليوم دوركن".

أحدثت تلك الكلمات ضجيجاً في آذان عليا ولكن وبالرغم من خوفها إلا أنها سألته بقوة:

وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان، في تقريرها الموسمي (ربيع 2018)، أن ما لا يقل عن 8623 امرأة ما يزلن على قيد الاعتقال التعسفي أو الاختفاء القسري في سوريا، غالبيتهن (90 بالمئة منهن) على يد نظام الأسد.

كما وثقت الشبكة تعرض 864 امرأة و432 فتاة دون الثامنة عشر، إلى 7 آلاف و699 حالة اغتصاب، وتبقى هذه الأرقام أقل من الأرقام الحقيقية، لسببين أولهما ان عدم توثيق حالات الاعتقال لأن أغلب حالات الاعتقال تتم بشكل تعسفي، وثانياً والأهم، أن المجتمع يفرض قيوداً ويجبر الضحية على الصمت خوفاً من العار.

-"لوين ودور شو".

نهرها الجلاد قائلاً: "اخرسي انت.. وأمشي معي لفوق جاء دورك".

تروي عليا ما حدث بارتباك شديد وكأنها تستعيد الألم من جديد: صعدت إلى الأعلى عند ضابط التحقيق، كان يرفع قدميه فوق الطاولة ويحركهن بطريقة استفزازية.

لم تلتقط عليا كلماتها وهي تتابع: هذا الضابط الحقير، لن انساه ما حييت، "كان يسأل أسئلة إذا جاوبت خلص تمام، وإذا ما جاوبت بيضرب وبس قال اشلحي خلص ما فينك تقول لأ، أكتر شي انذليت أنا والفهم كافي".

ظلم ذوي القربى

بقيت عليا على هذا الحال إلى أن تم الافراج عنها بعد مضي شهر على الاعتقال. وتذكر أن أحد السجانين جاء إليها بمعطف أسود اللون ورماه أرضا قائلاً " البسي وليك " وذهب، كان يوم الثلاثاء، بحسب ما روته عليا.

بعد خروجها من المعتقل، كانت عليا تظنّ بأنها ستقابل أمها وتحضنها كونها هي الملاذ الوحيد في دنياها البائسة، معتقدةً أن أهلها ينتظرونها بفارغ الصبر بعد سجنها الأسود، ولكن ما حدث لم تتوقعه.

"روحي من هون عليا ماتت عندنا" قالتها أم عليا بدون أيّ تردد، وتقول عليا بحرقة والدموع تنهمر على خديها: بقيت يومها واقفة أمام باب منزل أهلي، وكررت طرق الباب مراراً، ولكن القدر اختار لي أن أكون طريدة وشريدة.

تتابع عليا حديثها: اصطحبت أولادي والحزن يدمي قلبي، مشيت في الطرقات لا أدري إلى أي وجهة سأقصد (..) وشددت على أيدي أطفالي خوفاً من أن يتخلوا عني هم أيضاً.

ضوء في آخر النفق

المعاناة التي مرت بها عليا كانت أكبر من قدرتها على الاحتمال، وكانت تتمنى دائماً لو أنها لم تكن هي بالذات من اختارها القدر في هذه الظروف لتكون ضحية مزدوجة على يد سفاح مجرم ومجتمع معاق فكرياً، على حد قولها.

وعلى الرغم من كل المآسي عادت عليا إلى العمل الإنساني والطبي في المشافي الميدانية مجدداً

ورمت خلفها أوجاعها، إلى أن التقت بزوجها الجديد حسّان، الذي أحبها وجعلها أولى اهتماماته.

سافرت عليا وحسان، مصطحبة أطفالها إلى تركيا، تعيش في إحدى المدن الحدودية القريبة من سوريا، حياة طبيعية محاولة نسيان الماضي الأليم، فقد ابتسم لها القدر من جديد، بقبول ابنتها في أشهر جامعات تركيا وكأن كل ما عانته عليا كان من أجل هذه البداية.

«نور مدور»..
امرأة وقفت بوجه الحرب

"رحم الله وجهاً بشوشاً نيراً، وابتسامة متألقة، إلى جنان الخلد.. سلاماً لروحك في الخالدين.. يا نور الغالية "، بهذه الكلمات نُعيت نور من قبل أقاربها وأصدقائها، وزفت بالدموع والورود إلى مثواها الأخير.

"نور مدور"، شابة لم تتجاوز الثلاثين من عمرها، ولدت في مدينة داريا، أنهت دراستها في جامعة دمشق، عاشت حياتها رائدة في الوسط النسائي المحيط بها، معلمة ومربية أجيال، ومهتمة بقضايا المرأة.

قصة نور، ليست مجرد مرثية لامرأة توفيت، بقدر ما هي قصة لامرأة نجحت في حياتها وتحدت الصعاب، وكانت مصدر إشعاع لمحيطها، صارعت الحرب وصمدت بوجهها، إلى أن أنهك جسدها المرض، القصة ترويها والدة نور.

تتذكر الأم ابنتها نور وتقول: "بعد ما تزوجت نور كانت تجي تزوروني كل يوم وكنت انبسط كتير وقت تدخل لعندي بضحكتها الطيبة.. والحمد لله حالياً وقت بشوف بنتها (إباء) كأني شفتها".

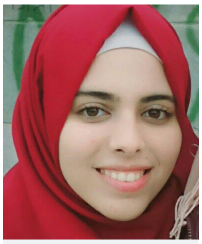

نور العتر

طالبة في سنة التحضير الجامعي، مقيمة في مدينة الريحانية التركية.

«لا شيء في الحياة أجمل من أن تكون إنسانا على قيد قضية، تموت وتحيا من أجلها.. فكان لابد من أن أتعلم الكتابة الصحفية ومهارات التعبير كي أبدأ المشوار»

زهور داريا ورصاص الأسد

كانت نور الأكبر بين إخوتها، وبعد وفاة الأب الذي ترك جرح لا يندمل في حياتها، كان عليها أن تتحمل عبئاً كبيراً على كاهلها في مساندة الأسرة.

في منتصف آذار/ نيسان 2011 اندلعت ثورة شعبية في سوريا، كان لشباب مدينة داريا القريبة من دمشق بصمة مؤثرة ومتميزة، الأمر الذي اغضب نظام الأسد وصب جام غضبه عليها كما كل المدن الثائرة.

نور كانت من الرائدات في التظاهرات السلمية، ترفع الورود في مواجهة الرصاص، واستمرت في التظاهر على الرغم من اعتقال زوجها وشقيقها، والوحشية المتزايدة من قبل نظام الأسد في قمع الثورة السلمية.

في الخامس والعشرين من آب/أغسطس 2012 كانت داريا على موعد مع فاجعة إنسانية لن تمحى من ذاكرة أبنائها، في ذلك اليوم اقتحمت قوات النظام المدينة وارتكبت مجزرة مروعة بحق المدنيين، راح ضحيتها العشرات بإعدامات ميدانية، المجزرة يعرفها السوريين باسم "أخوة العنب والدم"، كناية لشباب داريا وتكريماً لبطولاتهم ونشاطهم الثوري السلمي، الذي استفز النظام.

أيام عصيبة مرت على نور وأسرتها، فالمجزرة حولت المدينة إلى بيت عزاء كبير، وبدأت مرحلة جديدة من النضال، فاشتعلت المواجهات بين الجيش الحر وقوات نظام الأسد، وقصف همجي وحصار.

فقدت نور خلال المواجهات شقيقها وابن عم لها، ولم تفقد العزيمة، وعلى الرغم من القصف الكثيف وانتشار الدمار وقلة الإمكانيات وانعدام الأمان، إلا أنها قامت مع بعض النساء الناشطات بتأسيس مراكز تعليم ومدارس في أقبية تحت الأرض لتعليم الأطفال، الذين حرمتهم الطائرات المغيرة من مقاعد الدراسة.

"عند قدوم الأعياد كانت نور تزيّن البيت وتفرح الأطفال كي ترسم البهجة في قلوبهم وتصنع لهم الحلوى دائماً بأبسط المواد الموجودة كالمعكرونة " هكذا وصفت أم نور نشاط ابنتها وطاقتها الايجابية.

آلام البشر والحجر

مع زيادة توتر الأوضاع الأمنية في داريا واشتداد الحرب التي يشنها النظام ضد "مدينة العنب" (لشهرتها بزراعة العنب الداراني)، اضطرت نور وأطفالها لمغادرة المدينة، ونزحت عن بيتها إلى مناطق مجاورة، في تلك الأثناء أصيبت نور بمرض، ولكن بسبب ضعف الإمكانات الطبية، لم يعرف الأطباء تشخيصه وأخبروها أنه مجرد زكام، لتتكشف مع الأيام وبعد فترة علاج أنها مصابة بورم خبيث في حنجرتها.

لم ينل المرض والنزوح والحرب من عزيمة نور وإصرارها على متابعة مسيرها واستمرت برعاية أبنائها وتعليمهم، بالتزامن مع المداومة على العلاج إلى أن تحسنت صحتها وعادت إلى داريا وأنجبت طفلتها إباء.

تضيف والدتها: "وقت رجعنا لداريا وكان الحصار إذا حدا طلب منها شيء كانت تقطع عن نفسها وتعطيه، كانت تحب الجميع وما تزعل حدا".

في 25 من آب/أغسطس 2016 كانت داريا على موعد آخر مع الفاجعة، المدينة التي أصبحت ركاماً بسبب القصف، أجبر النظام مقاتلي المعارضة على تفريغها من السكان، وكانت نور ممن تم إجلاؤهم عن مسقط رأسهم، أخذت أولادها الأربعة وركبت "الباصات الخضر" إلى إدلب، وفقاً لاتفاقيات التهجير المشؤومة، وتركت زوجها محاصر في بلدة أخرى.

وللحلم بقية

في إدلب لم تقطع نشاطها وواصلت سيرتها الأولى، حيث أسست مع مجموعة من النساء المهجرات مراكز لتعليم الأطفال ورعايتهم، ولتمكين المرأة السورية، كما تابعت تحصيلها العلمي عبر تسجيلها بجامعة افتراضية.

لم تركن نور لقسوة الحياة بل صارعت صعابها والحرب، رغم النزوح وآلام الفقد، وبعد عدة شهور وصل زوجها إلى إدلب. ومع ذلك لم تنته المعاناة لأن مرض السرطان عاد لينتشر بجسدها، ونتيجة انعدام المشافي وعدم توفر العلاج المناسب لها قرر زوجها اللجوء إلى تركيا وترك أطفالهم عند أم نور.

كانت نور تذهب لتلقي العلاج في تركيا وتعود إلى إدلب لرؤية أطفالها، تزامن ذلك مع

الحرب التي شنتها قوات من الجيش الحر، بدعم تركي، على مدينة عفرين ذات الغالبية الكردية، وفي إحدى المرات بينما كانت نور وزوجها متجهين إلى إدلب، احتجزت "الوحدات الكردية" الزوج.

كان المرض ينتشر والألم يشتد، والصعاب لا تتوانى عن تسديد السهام صوبها، إلا أن نور تابعت العلاج، وبقيت متماسكة رغم "جرعات الكيماوي"، وواصلت تقديم امتحاناتها الشهرية في الجامعة الافتراضية، وتضع الخطط لأعمال السنة القادمة لتكمل طريقها الذي بدأت به، بحسب قول الأم.

"نور كانت تحب الدراسة والعلم لآخر فترة بحياتها.. كانت تحلم كل يوم برؤية زوجها وأطفالها".

ولكن في صباح الثامن والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر 2017، كان هطول الأمطار غزيراً ومبكراً على غير العادة، توفيت نور في إحدى المشافي التركية وهي بعيدة عن عائلتها التي كانت تحلم برؤيتها، تركت خلفها أطفال وأم وزوج معتقل وأنقاض مدينة.

"رحلت نور ليبقى نورها بصمتها في مجتمعها، ستبقى شعلة لن تنطفئ في قلوب من عرفها".

«حنان الأحمد»..
طفلة حرمت من أطفالها

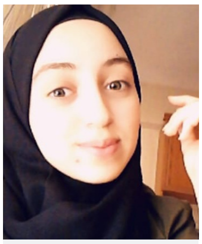

رغد الطه

طالبة في سنة التحضير الجامعي، مقيمة في مدينة الريحانية التركية

«لدي رغبة كبيرة في أن أكون صحفية.. تجربتي مع (SNP) ألهمتني في أنه من الممكن أن يتحول الحلم إلى حقيقة»

"عدت من المدرسة في ذلك اليوم المشؤوم بالنسبة لي، فطلبت مني أمي أن أدخل غرفتي و أنتظرها لأن هناك أموراً يجب علينا التحدث عنها، ظننت أنها ستوبخني من أجل دراستي أو شيء من هذا القبيل"، تتذكر حنان يوم جاء عامر لخطبتها وهي لا تزال طفلة.

حنان الأحمد (23 عاماً)، شابة من مدينة إدلب، كانت إحدى ضحايا زواج القاصرات، سرقت التقاليد منها طفولتها وأطفالها مبكراً، وكما الغالبية العظمى من حالات تزويج القاصرات كانت آثاره السلبية تتعدى القاصر وتدمر الأسرة.

تشير إحصائيات صادرة عن وزارة العدل في سوريا إلى أن نسبة الزواج المبكر بالنسبة للقاصرات السوريات ارتفعت إلى 14% خلال سنوات الحرب بعد أن كانت 7% قبل الحرب.

وبحسب القاضي الشرعي الأول في دمشق، محمود المعراوي، أن حالات زواج القاصرات المرتفعة هي أكثر أنواع الزواج التي تنتهي بالطلاق.

ضحايا التقاليد

تقول حنان: "كنت في الـ 15 من عمري لم أكن أعلم شيئاً سوى الذهاب إلى المدرسة والالتقاء بصديقاتي للعب، كنت مثل أي طفل بريء يمكن أن يكون سعيداً بممحاة لها رائحة الفراولة مثلاً".

تفاجأت حنان في ذلك اليوم، عند عودتها من المدرسة، بزيارة خالها وابنه عامر الذي يكبرها بـ 15 سنة، الذي جاء لخطبتها.

رفضت الطفلة حنان الزواج وحاولت كثيراً إقناع عائلتها بالتخلي عن الفكرة، وتقول ترجيتهم وبكيت كثيراً، ولكن من دون جدوى، وكان ردهم لي: "عامر شب كتير بحبك ورح يعيشك حياة كتير حلوة وسعيدة، بعدين ابن خالك ومهندس والكل بيتمناه وصعب تلاقي واحد مثله بهالأيام، شو رح تعملي إذا خلصتي دراستك!! رح تكون نهايتك شقفة أنسة بتنهي حياتها بالمدارس".

تضيف حنان: "كانت معاملته لي جيدة في البداية، كان يحبني مثلما قالوا، ولكن بعد فترة من زواجنا بات ينزعج مني كثيراً ويعصب بسبب حركاتي الطفولية، "ليش هوي شو كان منتظر من طفلة أكتر من هيك!".

طفلة تربي أجيال

لم تكمل حنان الثامنة عشرة من عمرها، إلا وهي أم لطفلين (خالد وخلود)، وهي الآن بعيدة عنهم تفصل بينهما حدود، بعد انفصالها عن زوجها وحرمانها من رؤيتهم إلا عبر الصور فقط، التي علقت عدداً منها على جدار غرفتها.

تنظر حنان إلى صور أطفالها وعيناها مليئة بالدموع وتقول: "كنت حابة عيشهن الطفولة يلي أنا ما قدرت أعيشها ".

غريبة في عيد زواجنا

كانت الصدمة الكبرى بالنسبة لحنان، في عيد زواجها الأول، عندما رأت عامر يدخل للمنزل وبصحبته امرأة غريبة، ولم تكن تعلم أنها "الضرة" (الزوجة الثانية).

تقص حنان بحرقة ما حدث في تلك الليلة: "كان يوم الثالث عشر من كانون الأول عام 2012، كنت أعد الأطعمة التي يفضلها إضافة للحلويات والعديد من الأطباق، احتفالاً بمرور سنة على زواجنا، وحوّله إلى حفلة لزواجه الثاني".

التزمت حنان الصمت، في حينها، وصبرت لأنها لم تكن قادرة على التفوه بأية كلمة أو المطالبة بحقوقها، خوفاً من نظرة المجتمع، كما استمر صمتها بعد ذلك حفاظاً على أطفالها من التشرد.

لم تستطع حنان تحمل حجم العذاب والتعنيف الذي تعرضت له من قبل زوجها بعد زواجه الثاني، فطلبت منه الانفصال، لكنه رفض "إمعاناً بتعذيبها"، على حد تعبيرها.

بعد محاولات عديدة، لم يوافق الزوج على الطلاق إلا بشروط، "طلب مني مصاري ودهب لحتى يطلقني"، تقول حنان كان يستغلني ويستمتع بتعذيبي، وبعد جهد جهيد استطاعت أسرتي تامين المبلغ المطلوب، ولكنه لم يكتفِ بذلك، فقد حرمني من أطفالي بعد الطلاق، ولم يسمح لي برؤيتهم.

رحلة جديدة على أمل اللقاء

غادرت حنان مدينة إدلب، محرومة من فلذات كبدها، وسافرت مع أهلها إلى تركيا، وفي كل مرة تحصل فيها على مقاطع فيديو لطفليها (خالد وخلود) يتقطع قلبها حزناً، كان الزوج يرسل مقاطع للأطفال وهو يضربهم.

تقول حنان: بعد سرقة طفولتي وأطفالي لن أسمح لهم بسرقة شبابي مني، يجب أن أكون أقوى لأستطيع الحصول على أطفالي وتخليصهم من ذلك "الوحش الذي يدرج تحت مسمى الإنسان".

استطاعت حنان، بعد أربعة سنوات من طلاقها، أن تخلق من مأساتها ونهايتها بداية جديدة، فقد عادت إلى مقاعد الدراسة، وهي الآن تقف على أقدامها من جديد بعد تطوير قدراتها عبر الاجتهاد والعمل وحضور ورشات لتطوير الذات.

حنان الآن مربية لأجيال المستقبل ومديرة لنادي رياضي ومسؤولة عن مركز للدفاع عن حقوق المرأة، تأمل يوماً ما باسترداد أطفالها.

وتختتم حنان، التي لا تزال في مقتبل العمر، قصتها بالقول: هأنذا أقف أمام أحلامي التي أجهضت بسبب المجتمع والتقاليد البالية، وضعفي الذي كان في صغري تحول لقوة لا يمكن لأحد أن يكسرها.

"يوماً ما سأسترد أطفالي، وسأبذل كل جهدي كيلا تسرق الطفولة ولا يحرم الأطفال من أمهاتهم".

عندما تموت الأحلام..
ما بين الصمت وحرية التعبير

بتول حاج موسى

طالبة في الصف الثاني الثانوي، مقيمة في مدينة الريحانية

«كشخص عاشر الحرب في طفولته وذاق مرارتها حاولت بناء جسور للسلام، وهذا ما وجدته في عالم الصحافة وبمساعدة (SNP) وضعت نقطة البداية»

"هل حلمي سيبقى حلماً أم أنه سيتحقق يوماً ما، ربما كان علي التكلم في وقت أبكر وعدم الصمت".. هكذا كانت مروة تلوم نفسها، بغصة بدت على كلماتها وملامحها لتعاود النظر في المدى.

"مروة . ب"، فتاة سورية تقطن قرى جبل الزاوية في الريف الجنوبي لمدينة إدلب، عشرينية جميلة، ولدت في أحضان أسرة تقليدية بسيطة لا تعطي للمرأة حقاً في التكلم أو الاعتراض.

نستعرض في هذه المادة قصة فتاتين سوريتين، الأولى خسرت تحقيق أحلامها لأنها لم تجرؤ على الاختيار في بيئة اجتماعية لا تسمح بحرية التعبير، لا سيما للأنثى، والثانية قرينتها بالعمر ومن القرية نفسها، إلا أنها تربت منذ صغرها على حرية الاختيار، فكانت حياتها كما رسمتها هي.

كبرت مروة بين أخوات عوملن بنفس الطريقة التي عوملت بها، تقول مروة "كان والداي دائماً ما يميزان بين أولادهما الإناث والذكور في المعاملة، وغالباً ما كانوا يمنعوننا نحن

الفتيات من إبداء الرأي.. أتذكر عندما علمنا بحمل أمي وأنها ستلد فتاة كان وجهها شاحباً جداً وكأن فاجعة ما ستحدث، أما أبي فكان وجهه محمر ويلقي بالشتائم ويرمقني وأخواتي بنظرات كادت أن توقعني أرضاً من شدتها".

مروة كانت محرومة من التعبير عن رأيها، في ظل جو أسري يفرض قيوداً على الأنثى، وأضافت أيضاً: "حاولت جاهدة التعبير لأمي عما يجول في خاطري لكنها لم تعطني فرصة أبداً، فكنت أفضفض عما يجول في صدري مع صديقاتي اللواتي يبدين تفهماً لأمور تخالج نفسي وتستقر داخلها".

"لم يكن الفستان الأبيض فستان زفافي بل كان كفني الأبدي.. لم أحلم يوماً بارتداء الأبيض إلا وأنا أتدرب في جامعتي أو أعمل في صيدليتي"

ما تتعرض له مروة يعدُّ تمييزاً قائماً على التفريق بين الجنسين، يصادر حرية المرأة في التعبير عن رأيها واتخاذ قرارات مصيرية تهم حياتها وحدها.

وتعرّف اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، التمييز يعني "أي تفريق أو استبعاد أو تقييد يقوم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه النيل من الاعتراف بالمرأة، على أساس تساوي الرجل، بحقوق الإنسان والحريات في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية".

اختيار الشريك

استمرت تلك الحالة حتى الربيع السابع عشر لها الذي تحول لخريف عندما اتخذ أهلها قرار تزويجها لشاب من القرية المجاورة يدعى "أحمد"، الذي تعرف على عائلتها بطريقة تقليدية.

تصف مروة يوم خطوبتها قائلة: "قالت لي أمي أنه علي الخروج لأقابل ذلك الشاب مع أهله عندما جاؤوا لخطبتي،

علمت حينها أن اسمه أحمد، لكنني رفضت رفضاً قاطعاً إلى أن دخل أبي بجسده الضخم إلى الغرفة وهددني: ألا تريدين الخروج؟!".

تتابع مروة: "عرفتُ من نظراته أنه يتوعدني بالويل إذا لم أخرج وأقابل أحمد فخرجت مضطرة وتمنيت لو أن الأرض تنشق وتبلعني لكثرة ألمي وانعدام أملي فلم أنطق بكلمة"

عندما علمت مروة أن أحمد شاب لم يأخذ الشهادة الإعدادية أدركت أنه لن يسمح لها بإكمال دراستها لكنها تعلقت بشرارة أملٍ زائفة، بسبب كمية وعوده واطلاقه للأيمان، وكان أكثر شيء يؤلمها تكراره لجملة "علي الطلاق" تأكيداً منه أنه سيفي بوعوده، على حد تعبيرها.

ثبتتها أمها بقولها لمروة أن ابنة عمها تزوجت بقريب أحمد وعاشت حياة جميلة ومطمئنة لكن مروة كان لها هدف وحلم آخرين.

حلم بلا مأوى

كان لمروة حلم وحيد، وهو أن تحصل على شهادة الثانوية العامة لتلتحق بكلية الصيدلة، وعلى هذا الأساس اجتهدت وتعبت، لكن ما إن كاد يلامس حلمها رؤوس أناملها الجميلة حتى تدمر وتلاشى ما بعده.

تقول مروة بحرقة تخفي حزن عميقاً: "كنت دائماً أحصل على درجات عالية وهذا ما أزعج الكثير من زملائي المنافسين لي، لاسيما يوم صدور نتائج الشهادة الثانوية التي أهلتني لدراسة الصيدلة وتحقيق حلماً طال انتظاره، لكن فرحتي لم تكتمل".

بعد عدة أيام قليلة من صدور النتائج حدد موعد الزفاف، لتبدأ مروة بالاستعداد له مجبرة راضخة لإرادة والديها، وخوفاً من الويل والثبور في حال رفضت.

تصف مروة شعورها في يوم زفافها قائلة: "لم يكن الفستان الأبيض فستان زفافي بل كان كفني الأبدي.. لم أحلم يوماً بارتداء الأبيض إلا وأنا أتدرب في جامعتي أو أعمل في صيدليتي".

قتلتُ أحلامي عندما صمت

دخلت مروة سنتها الثامنة عشرة بعد شهر على زواجهما الذي تكلل بالهدوء المطبق، قرر زوجها ترك البلاد قاصداً رزقه فاختار تركيا للعمل، أما عن وعده الذي قطعه بأن يسمح لها بإكمال جامعتها فكان هراء لا طائل منه.

"سبب خبر رحيل زوجي صدمة وما زاد الأمر تعقيداً منعي من إكمال دراستي، لكنني مرة أخرى صمتُّ وانتهى كلامي قبل أن يبدأ"، قالت مروة كلماتها تلك بهدوء مصطنع عبر عنه شحوب وجهها.

تروي مروة قصة ألمها الذي ازداد بعد رحيل زوجها وحيدة من دون طفل ومن دون أقارب في تلك الزنزانة المسماة بمنزل "بيت الإحما". لا تلقى إلا الجفاء ولا تمتلك القدرة على التعبير عن رأيها حتى في حياتها الخاصة.

مروة الوحيدة تتصل مع زوجها يومياً ولكنه لا يرد على اتصالها أغلب الأوقات، وفي كل مرة تسأله يخبرها أنه عائد في أقرب فرصة ممكنة ويضع حجج ويكرر أيمانه تلك.

تقول مروة: "لقد بدأت أعتقد أن كل إنسان يحلف كثيراً هو كذاب، كانت لدى زوجي العديد من الفرص لكنه لم يأت، لم يعاملني أهله بشكل لائق ولا حتى أقاربه، أما عن أهلي فلا أراهم إلا قليلاً ودائماً ما تكون زياراتهم قصيرة، لم أكن أخبرهم بهمومي كيلا أثقلهم بالهموم رأفة بحالهم واستسلاماً لقدري. لم أرزق بطفل بعد وكل ما أملكه هو الوحدة المندمجة مع الألم".

لم تشأ مروة أن تتكرر قصتها فهي لم تكن راغبة بتحكم الأهل بمصير حياتها، وتقول: "سأخبر فتاتي التي لم أنجبها بعد بألا تصمت.. تكلمي وناقشي وجادلي وأخبري الجميع برأيك ولا تخافي، فإن تكرر صمتكِ سيختفي صوتكِ إلى الأبد".

«فاطمة موسى».. لم تسمح بمصادرة قرارها

"عندما تُحشر في الزاوية ستخلق لنفسك طريقاً رغم كل الضغوط، وقد تضطر أحياناً لتحطيم تلك الجدران التي حاصرتك".. هكذا تعبر فاطمة عن فلسفتها للحياة، بكل عز وافتخار.

فاطمة موسى، شابة من ريف إدلب في الثلاثينيات من عمرها، ولدت في عائلة ميسورة الحال، لا تتدخل في قرارات المرأة كثيراً بل وتشجعها على اتخاذ قرارها مادامت مؤمنة به ومقتنعة بنتائجه، عائلة تؤمن بالحوار وإبداء الرأي.

تقول فاطمة: "ولدت في أسرة كنت آخر العنقود فيها، كانت أمي تعتني بي كثيراً وتسرح شعري لتتركه منسدلاً على كتفيَّ، لم أتذكر شيئاً من طفولتي بقريتنا التي تسمى (سرجة)،

وجل ما أتذكره هو حينا في العاصمة دمشق".

النجاح يبدأ بخطوة

انتقال الأسرة إلى دمشق ساعد فاطمة كثيراً في بناء شخصيتها في سن مبكر، وتتذكر حجم الثقة بالنفس الذي اكتسبته منذ أيام الدراسة الابتدائية، وتقول: "في صباح يوم شتوي قارس، أوصلني أبي إلى المدرسة كعادته لكنه دخل معي ليسأل عن وضعي و مستواي التعليمي، أتذكر قول المعلمة له أنني أملك مؤهلات عالية، ما جعل أبي يفخر بي، ويرمقني بنظرات مليئة بالبريق والحنان جعلتني أشعر بعظمة الأبوة فعلاً".

حرية الاختيار

ترعرعت فاطمة في طفولتها وصباها في حي القابون الدمشقي، وأكملت جميع مراحل التعليم وصولاً إلى الدراسات العليا.

تذكر فاطمة بعد اجتيازها المرحلة الثانوية بنتائج أذهلت الجميع، تخولها دراسة الطب، الاختصاص المرغوب لدى السوريين، ولكنها لم تفاضل على اختصاص الطب.

"لم أكن أتخيل أن أصبح طبيبة أبداً، لقد كان شغفي في العلوم وعلى وجه الخصوص علم النباتات، فأخبرت أهلي أنني لن أدرس الطب بل سأدرس العلوم، لم يعاتبني أحد من أسرتي بل تفهموا رأيي ورغباتي".

درست فاطمة الفرع الذي ترغب به ولم تلق بالاً للمحيط المتطفل، ما دام أهلها لم يعترضوا، ولم تأبه لكلام الناس، ولكن لم تكد تنهي السنة الأولى خسرت أكبر سند لها، فقد توفي والدها.

تقول فاطمة: "كانت وفاة والدي عاصفة دمرت كل شيء في حياتنا. أمي عادت إلى قريتنا من أجل الحصاد ومواسم أخرى في ريف إدلب، وأختي الكبيرة متزوجة، لم يبق سواي مع إخوتي الشباب الثلاثة الذين كان أكبرهم في المرحلة الثانوية، كنت أطبخ لهم وأساعدهم وأهتم بالمنزل وأدرس في الوقت نفسه، أما في الصيف فكنت أذهب إلى القرية مع أمي التي كانت منشغلة دوماً في الأرض وما إن تنهي موسم حتى يبدأ موسم آخر من القطاف".

انهت فاطمة دراستها الجامعية بتفوق، ومن ثم درست الماجستير وتلته بالدكتوراه، وبدأت في العمل على عدة مشاريع وتقارير تخص النباتات والغطاء النباتي وعرضت أعمالها وأبحاثها

على التلفاز الوطني.

الرضى عن الذات

تقول فاطمة: "كلما رأيت أبحاثي شعرت بالفخر من نفسي، وتمنيت لو أن أبي يعود ليرمقني بنظراته البراقة المليئة بالفخر تلك. كنت أعمل على مشاريع عديدة لنباتات تعيش في بيئات صعبة جداً، ما اضطرني للسفر لأماكن عديدة". وتردف قائلة: "لقد تعلمت من النباتات التي عملت على دراستها الكثير، لم تستسلم تلك النباتات بل تأقلمت مع محيطها وفي النهاية أزهرت وازدهرت ".

اضطرت فاطمة وإخوتها إلى مغادرة حي القابون، بسبب أحداث الثورة السورية وما رافقها من قمع واعتقالات على يد قوات النظام، وانتقلت إلى حي آخر في العاصمة، هناك التقت بشريك حياتها المستقبلي.

بعد زواج فاطمة قررت مع زوجها الرحيل عن سوريا والابتعاد إلى الجانب الآخر من العالم وكانت وجهتهم هي أوروبا.

فاطمة الآن تعمل مع عدة منظمات في ألمانيا ومراكز تهتم بالسوريين اللاجئين، ومراكز سياسية تدعم المرأة.

فاطمة امرأة اختارت مسار حياتها، وتحدت الصعاب لتصل إلى ما تريد، لم تسمح لأحد بمصادرة رأيها، ولم تسمع لكلام المتطفلين وصوت المجتمع المتطفل.

تعتني الصحف ووسائل الإعلام بالقصص الصحفية، البعيدة عن نمط التقارير الإخبارية الجامدة، لتقديم مادة غنية بمعلومات واقعية ولكن بأسلوب أدبي ولغة بسيطة.

على الرغم من أن القصة الخبرية (News Story) تحتاج إلى صحفي محترف يتمتع بمهارات إبداعية، ويعرف كيف يلتقط الزاوية في القصة التي يقدمها، ولكن أحياناً تكون القصة أكثر تأثيراً إذا كتبها صاحبها، سواء كان ضحية أم بطلاً، وتقلل من الفجوات التي قد لا يتداركها الصحفي باعتباره ناقلاً تقنياً لما يحدث.

شابات سوريات يتلقين تدريبات على أساسيات الكتابة الصحفية